



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة مصطفى اسطبولي معسكر



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

## المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه للطور الثالث (ل.م.د)

شعبة: الدراسات النقدية

إشراف:

أ.د حبيب بوزوادة

إعداد الطالب:

إسماعيل لبزة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	جامعة الانتماء	الصفة
بوسكين مجاهد	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	رئيسا
حبيب بوزوادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	مشرفا ومقررا
بن عيسى عبد الحليم	أستاذ التعليم العالم	جامعة وهران	مناقشا
لخضر هني	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مناقشا
جرموني رقية	أستاذة التعليم العالي	جامعة معسكر	مناقشا

السنة الدراسية: 1447-1448هـ/2025-2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾

الآية: 162 / سورة الأنعام

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي أهدى التوفيق من فوق السموات السبع وأعانني على إنجاز هذه الأطروحة.

أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي القدير المشرف حبيب بوزوادة على أن نفعنا بعلمه أثناء فترة التكوين، وأن رافقني بالإشراف على بحثي فلم يبخل عليّ بالمتابعة والإرشاد والنصح.

كما أتقدم بأسمى عبارات التقدير لأساتذتي الميامين الذين ساهموا في تكويني بجامعة معسكر.

ولا يفوتني أن أجزل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا قراءة بحثي المتواضع وسعوا إلى تقييمه وتقويمه.

وجب الاعتراف بفضل معسكر مدينة الأمير، وفضل أهلها الكرام الذين آووا ونصروا العبد الضعيف أيام التكوين الدكتورالي.

# إهداء

إلى الصّاعدين إلى الله والمرابطين حول أكناف بيت المقدس

إلى روح الروح أبي رحمه الله .. إلى والدتي الكريمة حفظها الله

إلى أسرتي الصغيرة

إلى الصّحب والخلائن

# مقدمة

تحيط الرموز بالإنسان منذ الأزل فتشاركه صراعاته الحياتية، حتى أضحت أداةً تعبيريةً مهمةً تساعد في تجلي ما يختلج صدره من مشاعر تجاه بيئته، فالإيحاءات التي تصدر منه تمثل مفاتيح لغوية تترجم تجربته الإنسانية المتنوعة، وفكّ شفراتها يُسهّم في تحقيق عملية التواصل ومن ثمّ فهم لغته ومشاعره المتقلبة، فالرمز يعكس وعي الإنسان وثقافته ونظرتة للواقع والعالم من حوله.

مع تطور الإنسان ولغته غدا الرّمز وسيلة لنقل الإبداع الأدبي الإنساني إلى مستويات أعمق في خلق المعنى، الأمر الذي أمدّ الأديب بلغة ثانية يبرز عبرها رؤاه وأفكاره العميقة، ذلك أنّ هذه اللغة الإيحائية فتحت أمام الأديب آفاقاً واسعة لتجسيد تجربته الفنية داخل النصّ، فيتسع معها المعنى ويتشعب، لينفتح أمام القارئ تعدد في القراءات وكثرة في التأويلات، ولهذا فقد زخرت النصوص الأدبية الحديثة بمختلف أنواعها وأجناسها بشبكة من الرموز التي تستميل القارئ إلى سبر أغوارها.

ومع الثورة النقدية التي أحدثتها الدرس اللساني على يد اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" Ferdinand de Saussure (1857-1913) الذي قاد الانقلاب على المناهج السياقية وقيودها، ووضع الأساس لاتجاه جديد تبلورت به السيميائيات انطلاقاً من رؤية واضحة ترصد العلامة اللغوية وغير اللغوية، لأنّ اللّغة نسق من العلامات، وكل علامة تخفي وراءها معنى، فالسيميائيات علم يدرس العلامة، غير أنّ أطروحاته ما لبثت أن تطورت عبر مراحل عديدة حتّى وصلت إلى مرحلة النضج، وذلك بفضل أعلامها أمثال ستراوس وكريستيفا وصولاً إلى غريماس الذي جعل من السيميائيات نظرية هي الأكثر نجاعة في مقارنة النصوص السردية وفهم مضامينها، وهذا ما لا نجده في باقي النظريات خاصة البنيوية التي انطلق منها أغلب مفكري علم السيمياء، لأنّ هذه

النظرية تتسم بالشمولية في مفاهيمها ومصطلحاتها والمرونة في أدواتها الإجرائية التي تساعد الدارسين في الإحاطة بمختلف النصوص والإمساك بمختلف الدلالات المتوارية داخل أنساق العلامات.

مع تبلور تصوّر شامل حول النظرية السيميائية، برزت السيميائيات السردية كمنهج لتحليل المسرودات بمختلف أنواعها، حيث قادت المدرسة الفرنسية قاطرة التنظير والتطبيق لها حتى أثبتت نجاحتها في تحليل النصوص، الأمر الذي أكسبها حضوراً قويا في الساحة النقدية العالمية متجاوزة حدود البيئة الفرنسية، حتى وصل صداها إلى الوطن العربي ونقاده الذين كانوا يعيشون على ممارسة نقدية تحكمها المناهج السياقية، والتي تبين أنّها قاصرة أمام سبر أغوار التراث العربي وما استجد من أجناس أدبية.

تماشياً مع التّحوّلات النّقدية والمنهجية عند الغرب كان لزاماً على النّقد العربي أن يجدّد مفاهيمه وأدواته النّقدية، الأمر الذي دفع ثلّة من الباحثين العرب إلى الانفتاح على الأطروحات النّقدية الغربية، رغبةً منهم في مواكبة تطوّر هذه الأطروحات من جهة، وسعيّاً إلى تجديد الخطاب النّقدي العربي من جهة أخرى، حتى يتوافق مع متطلبات النّص الإبداعي العربي، وهو ما يستدعي خطاباً نقدياً يوفق بين التراث والحداثة انطلاقاً من رؤية واعية ترفض الانسلاخ وتراعي خصوصية الثقافة العربية.

لم يغفل الناقد الجزائري إزاء هذه التّحوّلات، بل احتفى بها عن طريق الاحتكاك بأقطاب المدرسة السيميائية الفرنسية والتطبيع معهم في حقل السيميائية، ما جعل من النظرية السيميائية الأكثر حضوراً في الساحة النقدية الجزائرية، الأمر الذي أدّى إلى تطوّر الخطاب النّقدي الجزائري واتّسامه بالتنوع والثراء، فالتنوّع لهذا التطوّر يجد أنّ أعلاماً كعبد المالك مرتاض، ورشيد بن مالك، وعبد الحميد بورايو،

قد حملوا لواء توطين هذا المنهج في البيئة الجزائرية، من خلال التأصيل له ومحاولة التأسيس لدرس سيميائي عربي خاص، حيث راكم الباحثون الثلاثة ومن سار في فلهم الكثير من الدراسات السيميائية مزجت بين التنظير والتطبيق والترجمة، كل ذلك من أجل صياغة تصوّر سيميائي شامل مطبوع بالثقافة العربية، الأمر الذي بوّأ هؤلاء النقاد مكانة مرموقة في الساحة النقدية العربية وجعل من أبحاثهم مقصد كل باحث عربي يروم الاشتغال في حقل السيميائيات.

استنادا إلى ما تقدم ذكره، وجهدنا قبلتنا إلى تجارب هؤلاء الأعلام بغية الوقوف على آثارهم النقدية التي ساهمت في بلورة الخطاب السيميائي الجزائري، وتسلطا للضوء على مراحل تلقي النظرية السيميائية السردية، ذلك أن السيميائيات السردية الأكثر حضورا في المشهد النقدي الجزائري، بالإضافة إلى أنّ الارتباط بهذا البحث بدأت ارهاصاته منذ عام 2014م حين حللت سيميائيا قصيدة المساء للشاعر اللبناني خليل مطران لنيل شهادة الماستر بجامعة البليدة 2، ثم إنّ اهتمامنا بالدراسات النقدية شكّل لنا ميولات نحو الدرس السيميائي الممتع، والخوض في غماره يثري رصيدنا المعرفي وينوعه، وعلى هذا الأساس تبلور عنوان رسالتنا ب: المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر.

انطلاقا من هذا العنوان، واعتمادا على التصور الشامل حول بحثنا، تبلورت لنا إشكالية أساسية لهذا الموضوع هي: إلى أي مدى استطاع الناقد الجزائري تمثّل المنهج السيميائي؟ والهدف منها الوقوف على كيفية تلقي المنهج السيميائي عند النقاد الجزائريين من خلال رصد إسهامات عبد المالك مرتاض، ورشيد بن مالك، وعبد الحميد بورابو، عن طريق مساءلة نقدية (نقد النقد) تضع تجربة كل

ناقد في مجال السيميائية تحت المجهر، وتسعى إلى تبيان مدى تمثّلهم لأطروحات المدرسة الفرنسية في مقدماتهم النظرية أو ممارساتهم التطبيقية، وقد تفرع عن الإشكالية الأم أسئلة جزئية مهمة لرصد حضور المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري، نذكر منها:

- ما مدى حضور التراث في الدرس السيميائي الجزائري؟ وكيف تم ربطه بالنموذج الغربي؟  
- ماهي المرجعيات الفكرية التي نهل منها النقاد الثلاثة أفكارهم؟ وهل تمّ فهم الخلفيات المعرفية للنظرية السيميائية؟

- هل استطاع النقاد الجزائريون التأسيس لمشروع سيميائي جزائري خاص؟ أم أنّهم ظلّوا في أسر النموذج الغربي؟

- إلى أي مدى نجح هؤلاء النقاد في تحقيق علاقة تكاملية بين المستوى النظري والممارسة التطبيقية؟ وهل اتّسمت هذه الممارسة التطبيقية بالفاعلية والنجاعة في مقارعة النصوص العربية؟ وما أهم القضايا التي عالجها النقاد في متونهم النقدية؟

إنّ الإجابة عن الإشكالية الأم وما ترتّب عنها من أسئلة تجعل من تتبع المدونات السيميائية للنقاد الثلاثة مدخلا مهما لفهم واقع الخطاب السيميائي الجزائري وآفاق تطوره.

وحتى يكون تصور البحث شاملا بحثنا على دراسات تعالج أهم القضايا النقدية عند النقاد الجزائريين وذلك بالاعتماد على إشكالية البحث، فوجدنا أن هذه الدراسات - في حدود اطلاعنا - تركز النقاد دون القضايا، غير أننا استعنا بما تيسر لنا من أبحاث في رفوف المكتبة النقدية الجزائرية، نذكر منها:

- الخطاب السيميائي في النقد المغاربي لقادة عقاق.
- الدرس السيميائي المغاربي لمولاي علي بوخاتم.
- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ليوسف وغليسي.
- مباحث في السيميائية السردية لنادية بوشفرة
- واقع الخطاب السيميائي في النقد المغاربي (أطروحة دكتوراه) لعبد السلام مرسلي.
- السيميائيات السردية في النقد الجزائري المعاصر (أطروحة دكتوراه) لأبي بكر عبد الكبير.

بالإضافة إلى أهم أعمال النقاد: عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك، وعبد الحميد بورايو، كما كان لترجمات مصادر السيميائية حضور في بحثنا كترجمة رشيد بن مالك لكتاب جان كلود كوكي الموسوم ب:  
السيميائية (مدرسة باريس).

تأسيسا على الإشكالية المطروحة وبغية الإحاطة بكل أبعاد الموضوع، سعينا إلى بناء خطة منهجية توافق البحث وأهم قضاياها، وقد قسمناها إلى مقدمة وثلاثة فصول بالإضافة إلى خاتمة، وهي على النحو الآتي:

- تناولنا في الفصل الأول التجربة النقدية عند عبد المالك مرتاض، حيث بدأنا بمهاد نظري حول مفهوم العنوان لغة واصطلاحا، ثم عرجنا على الممارسة النقدية عنده وكيف تعامل مع سؤال المنهج، أما الجزء الأخير من الفصل فعالجنا فيه مقارنة الباحث السيميائية للعنوان في رواية زقاق المدق.

- تطرقنا في الفصل الثاني إلى النشاط السيميائي عند الباحث رشيد بن مالك، وقد اجتهدنا في وضع إطار نظري حول مفهوم الشخصية الروائية بين النقد الغربي والنقد العربي، ثم قدّمنا قراءة في المنجز السيميائي للباحث، وختمنا الفصل بتحليل القراءة السيميائية التي قام بها حول الشخصية في رواية نوار اللوز للروائي الجزائري واسيني الأعرج.

- يرتبط الفصل الثالث بإسهامات الباحث عبد الحميد بورايو في حقل السيميائيات السردية، الأمر الذي دفعنا إلى رصد استيعابه لهذا التوجه السيميائي من خلال الجسر الذي أقامه بين التنظير والتطبيق، حيث قمنا باستقراء تمثيلات الفضاء الروائي في تجربة بورايو السيميائية التي قدمها حول ثنائية الأمكنة في رواية الجازية والدرأويش.

بعد تبلور تصوّر شامل حول موضوع البحث واستجابة لأسئلته، ارتأينا أنّ الاتّكاء على منهج واحد لدراسة هذا الموضوع غير مجدٍ، ما دفعنا إلى الاعتماد على قراءة نقدية تضع التجربة النقدية للنقاد الثلاثة تحت المجهر، بالإضافة إلى الاستعانة بآلية الوصف لتوصيف اسهاماتهم النقدية، كما أنّ للمنهج التاريخي دوراً في هذه الدراسة من خلال تتبع أهم محطات تحوّل الخطاب النقدي في الجزائر وتشكّل الدرس السيميائي على يد النقاد الجزائريين.

لعل ما يجدر ذكره أنّ الخوض في هذا الميدان النقدي أمر عسير، ذلك أنّ التعامل مع المفاهيم السيميائية يتطلب كفاءة نقدية عالية، بالنظر إلى خلفيتها الفلسفية وتشعب حضورها عند نقادنا، ولهذا كان سعينا إلى الإحاطة - في حدود قدرتنا - ولو بالجزء اليسير كبداية لقادم أفضل، وفي هذا المقام أستحضر الأستاذ المشرف حبيب بوزوادة الذي رافقني في بحثي هذا بكفاءته العلمية مذ كان

فكرة إلى أن وصل إلى صورته الحالية، فله مني أسمى عبارات التقدير والاحترام، كما أقدم شكري  
وامتناني لكل من ساهم في عملي من قريب أو بعيد.

والله نسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، فإن أصبنا فمن الله وتوفيقه وإن أخطأنا فمن  
أنفسنا والشيطان، وما هذا البحث إلا من جهدٍ عبديٍّ ضعيفٍ مقلٍ لا يدعي الكمال.

الطالب: إسماعيل لبزة

عين الحجل (مسيلة) في يوم: الخميس 19 رجب 1447هـ

الموافق لـ 08 جانفي 2026م

# الفصل الأول: العنوان في الخطاب السيميائي الجزائري

- توطئة:

أولاً: مفهوم العنوان

1- العنوان في التراث العربي

2- العنوان في الدراسات النقدية

ثانياً: الخطاب النقدي السيميائي عند عبد المالك مرتاض

1- أصول النقد السيميائي عند عبد المالك مرتاض

2- سؤال المنهج عند عبد المالك مرتاض

ثالثاً: العنوان وتمثلاته في الممارسة التطبيقية عند عبد المالك مرتاض

1- قراءة سيميائية في عنوان رواية زقاق المدق

2- العنوان وعوالم النص

3- العنوان وتعالقه مع اللون

4- ملحق الفصل: السيرة العلمية للباحث

يُعد العنوان من أهم عتبات الإبداع الأدبي شعرياً كان أم سردياً ، ذلك أنّ هذه العتبة أول ما يعترض القارئ في أول تلاقٍ مع هذا الإبداع، فيمثل له جسراً ينقله إلى عوالم النص ومكوناته، من خلال تكثيفه الدلالات والمعاني التي تشكل جزءاً من هوية النص، ولهذا يسعى المبدع إلى صنع عنوان مغرٍ مدهشٍ يستميل به جمهور القراء، ما يجعل هذه الصناعة ممزوجة بما يعتلج في صدره من نوازع نفسية، فالعناوين تمثل أيقونات رامزة ذات نسق من العلامات المترابطة والمنسجمة فيما بينها والتي تحمل كمونات دلالية جمّة، فوضع العنوان وصناعته تستوجب من أهل الإبداع الأدبي فهماً عميقاً بقيمة العنوان ووظيفته، واقتداراً كبيراً يُفضي إلى نسقٍ أيقوني رامز رغم سمة الضيق التي يتميز بها البناء اللغوي للعنوان.

أولت الدراسات النقدية اهتماماً كبيراً بالعنوان حيث تمت الإحاطة به نظيراً وممارسة تطبيقية، وقد اشتغل عليه النقد السيميائي كثيراً باعتباره عتبة نصية ذات بعد تأويلي تواصلية، ومثّل للدارسين مفتاحاً إجرائياً يقود إلى تحليل النص، ويأتي في طليعة هؤلاء الباحثين الناقد الفرنسي جيرار جينيت (Gérard Genette) الذي احتفى بالعنوان في بحثه الموسوم: **العتبات**، والذي فتح المجال واسعاً للنظير السيميائي حول هذه العتبة الرامزة ومقارنته، فتتابعت التعاريف حول العنوان وتعددت التحليلات في النقد الغربي، ثمّ انتقلت عدواه إلى النقد العربي الذي حاول بلورة تصورات خاصة به حول عناصر النص الموازي انطلاقاً من محاكاة الدرس السيميائي الغربي.

أولاً: مفهوم العنوان

1- العنوان في التراث العربي

إنّ المتتبع لمعاني لفظة عنوان في التراث العربي ومصادره يجد أنّ كثيراً منها تلتف حول مفهوم رئيس ألا وهو الإظهار، حيث يذكر ابن منظور في لسان العرب (مادة عنن): عن الشيء يعن عننا وعنونا أي ظهر أمامك ... وعنّ الكتاب يعنّه عنا وعنّنه، كعنونه، وعنونه وعلونه بمعنى واحد<sup>1</sup> يطوف حول إبراز ما له عنوان وإظهاره، وفي مادة **عنا** يأتي مفهوم العنوان بأنّه سمة الكتاب، وبعملية استدلالية نستطيع الربط بين المفهومين فنجد أن السمة لها وظيفة مهمة هي الظهور والبروز والعرض، لأنّ العنوان ما هو إلاّ رأس بارز يخفي وراه الجسد، كما أنّ لافتة إخبارية للنص تُعرض للقارئ فيظهر له معنى مُركّز عن فحوى الكتاب لأنّ "العنوان حيز لظهور النص وانكشافه وانفتاحه، وهذا يرمي إلى أن انعدام العنوان أو إخفائه عن الرؤية، انعدام لوجود النص وإخفاء له، والإخفاء احتباس للكينونة من أن تمارس نشاطها واتصالها مع العالم"<sup>2</sup> الخارجي الذي يحقق للإبداع حياته.

تأسيساً على الرافد التراثي فالعنوان بمثابة البذرة التي يخلق من خلالها النص، ويتوافق مع هذا المنحى رأي روبرت شولز (Robert Schulz) حين استفهم حول خلق النص الشعري قائلاً: "ما الذي يجعل منها قصيدة؟ بالتأكيد لولا عنوانها لما كانت قصيدة، غير أن العنوان وحده لن يؤلف

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، مادة عننا، عنا، الجزء 10، ص 316.

<sup>2</sup> خالد حسين حسين: في نظرية العنوان، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2007، ص: 59، 60.

النص الشعري .. وإذا أعطي القارئ العنوان والنص فإنه سيُستحثُّ على خلق القصيدة<sup>1</sup> ذلك أنّ العنوان جزء أصيل من النص ومكمل له.

ولا شك أنّ هذا التكامل بين العنوان والنص يميلنا إلى دلالة ثانية ألا وهي القصد حين يُقال: عنيث فلانا أي قصدته، وعنيث بالقول كذا أردت، ومعنى كلِّ كلام ومعناته ومعنيته مقصده<sup>2</sup>، وهي دلالة مهمة تنقل العنوان من معناه المعجمي السطحي الدال على القصد إلى معنى أوسع يجعل منه جنسا أدبيا ثرا يستوجب حصافة من الكاتب ليخلق رمزا غزيرا بالدلالات وإحالة نصية تحكي للقارئ ما ينتظره من سحر ثاوٍ في النص، أنشد الشاعر المنذري عن أبي الهيثم:

وَتَعْرِفُ فِي عُنْوَانِهَا بَعْضَ لَحْنِهَا      وَفِي جَوْفِهَا صَمْعَاءَ تَحْكِي الدَّوَاهِيَا<sup>3</sup>

انطلاقا من هذا التدرج المعجمي في معنى العنونة، نلخص إلى أنّ العنوان علامة لكل كتاب فهو

يُعرف به، وأثر يهتدي به القارئ، ونجد ما يدعم هذا المفهوم في قول الله تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي

وُجُوهِهِمْ مِّنْ آثَرِ السُّجُودِ﴾ سورة الفتح/ الآية 29، ذلك أنّنا نهتدي لرواد المساجد بالآثر الموجود على

وجوههم، ونهتدي أيضا للكتاب بعنوانه الذي يتسق معه في المبنى وينسجم معه في المعنى.

<sup>1</sup> روبرت شولز، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، ص 93.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة عَنَنَ، ص310.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، مادة عَنَنَ، ص 312

## 2- العنوان في الدراسات النقدية:

تحوّل الاهتمام إلى النص مع ظهور النقد البنيوي ومعه بدأ التركيز على دراسة العتبات النصية أو ما يطلق عليه بالنص الموازي (Paratexe)، وهذا التركيز نابع من وعي عميق بأن النص يتفاعل مع ما يحيط به من الحواشي، ومع هذا الوعي بدأ يتبلور خطاب جديد يعنى بدراسة العنوان باعتباره مفتاح كل نص، "فأي عنوان لأي كتاب يكون عبارة صغيرة، تعكس عادة عالم النص المعقد الشاسع الأطراف"<sup>1</sup> وذلك في إطار العلاقة التكاملية التي تربط النص بعنوانه، فمن خلال هذه العلاقة يختزل الكاتب كثيراً من أسرار نصه ودلالاته في العنوان، وهو ما يستوجب براعة كبيرة في اختيار العبارة اللازمة ليسحر بها جمهوره.

يعد جيرار جينيت من أبرز المهتمين بالعنوان وذلك من خلال كتابه العتبات (Seuils) الذي درس فيه كل ما يحيط بالمتن أو ما اصطلح على تسميته بالمناس، وهو "ما يصنع به النص من نفسه كتاباً، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعموماً على الجمهور، أي ما يحيط بالنص من سياج أولي، وعتبات بصرية ولغوية"<sup>2</sup> ولجينيت كتاب ثانٍ تحت اسم الأطراس PALIMPSESTES سعى فيه إلى دراسة مختلف العناصر النصية التي من ضمنها العنوان، ومن الأقسام النقدية التي ساهمت في هذا المجال نجد "ليو هوك" (Leo Heok) الذي ساهم في وضع المفاهيم الأولى للعنوان ورسم معالمه الأساسية من خلال كتابه "سمة العنوان la marquedu

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 277.

<sup>2</sup> Gerard Genete, seuil ed seuil, coll poutique, paris, 1987, p7.

"titre" حيث يعرفه ب: " مجموعة من العلامات اللسانية التي تتموقع في واجهة النص، بالإشارة إليه، والتعبير عن محتواه وجذب الجمهور المقصود"<sup>1</sup> إليه، وهو بذلك من الأوائل الذين أرسوا علم العنونة في الدراسات النقدية الغربية.

رغم تأخر الناقد العربي عن استيعاب التصورات النقدية الغربية، إلا أنّ الدراسات العربية التي اهتمت بالعنوان قد تعددت ومعها تنوعت المفاهيم والتصورات حول وظيفته وأهميته، ومحاولة فهم العلاقة الماثلة بينه وبين النص، يقول مُجّد مفتاح: "إنّ العنوان يمدنا بزادٍ ثمين لتفكيك النص ودراسته، ونقول هنا: إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه.. فهو إن -صحت المشابهة- بمثابة الرأس للجسد"<sup>2</sup> فالعنوان ليس مجرد عبارة جميلة تلفت الأنظار، بل نواة مشعة بالكمونات الدلالية، كما يعرفه بسّام قطوس بأنّه "حمولة مكثفة للمضامين الأساسية للنص، وهو وجه النص مصغراً"<sup>3</sup>، وبما أنّ المقاربة السيميائية تستقصي ما وراء العلامة من دلالات حينها يكون العنوان "علامة سيميائية تمارس التدليل وتتموقع على حدٍ فاصل بين النص والعالم ليصبح نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص، فتنتفي الحدود الفاصلة بينهما"<sup>4</sup> ويتشكل بينهما اتصال دلالي بلا قيود.

<sup>1</sup> Leo H- Hoek, La marque du titre, paris, mouton, 1982, p5.

<sup>2</sup> مُجّد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1972، ص82.

<sup>3</sup> بسّام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة الأردنية، ط1، 2001، ص33.

<sup>4</sup> خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، ص78.

ثانياً: الخطاب النقدي السيميائي عند عبد المالك مرتاض:

المتبع للمدونة السيميائية الجزائرية يلفيها تعج بالدراسات السيميائية نظيراً وتطبيقاً، ونجد في طليعة الدارسين السيميائيين القلم المدرار عبد المالك مرتاض الذي يعتبره الكثيرون من الباحثين مؤسس النقد السيميائي في الجزائر، وهو الذي نهل هذه النظرية من موطنها الأم فرنسا وعلى يد أساتذتها الكبار غريماس وأندري ميكائيل، ما جعله يتشرب من معينهم النقدي ومعه تشكل له وعي عميق بأسس هذه النظرية ومقارنتها والإلمام بمصطلحاتها، الأمر الذي سهّل عليه نقل المفاهيم السيميائية إلى البيئة العربية.

مثّلت دراسة الباحث مرتاض الموسومة ب: ألف ليلة وليلة ( تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد) سنة 1989م بواكير أعماله السيميائية حول المسرودات، حيث عُدت لبنة مهمة في سبيل تأسيس الخطاب السيميائي في وطننا، ذلك أنّها تمثل "محاولة ممنهجة لدراسة التراث العربي السردية، ولتكن قبل كل شيء مدرجة لإثارة السؤال، ومسلكة لاستخدام الجدل، ولتكن أيضاً دعوة إلى التجديد، ولكن بعيداً عن فخ التقليد الذي ابتلينا به بهذه النظريات التي نقرؤها في لغاتها الأصلية طوراً، ونقرؤها مترجمة طوراً آخر، فإذا عدواها تسري كالسموم التي تتسرب في أجسامنا"<sup>1</sup> وهذا ينم عن دراية كبيرة منه بهذه النظرية المستجدة في واقعنا النقدي، والتي تحتاج إلى وعي بخلفياتها المعرفية وفهم عميق بمقولاتها ومصطلحاتها.

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، ألف ليلة وليلة ( تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد )، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 08.

وقد توالى أبحاث الناقد عبد المالك مرتاض لتشمل مختلف الأجناس الأدبية، فقد أثار الساحة النقدية بمقارباته السيميائية حول الشعر من خلال كتابه الموسوم ب: شعرية القصيدة - قصيدة القراءة ( تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية لعبد العزيز المقالح) سنة 1995م، حيث يمثل هذا الكتاب دراسة تطبيقية جادة استنطق فيها القصيدة وفق قراءة استقرائية متميزة، وفي نفس الاتجاه راكم الباحث مجموعة من الأعمال ضمن مشروعه التأسيسي للدرس السيميائي العربي، نذكر منها بحثه الموسوم ب: التحليل السيميائي للخطاب الشعري ( تحليل مستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الحلبي)، والملاحظ أنّ هذا المشروع السيميائي يتميز بالموسوعية والشمولية والغزارة بالمقارنة مع أقرانه الباحثين فأعماله شملت الإبداع الأدبي قديمه وحديثه، نذكر منها:

- تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)
- أ-ي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد)
- مقامات السيوطي (تحليل سيميائي)
- السبع المعلقات (مقاربة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها)

## 1- أصول النقد السيميائي عند عبد المالك مرتاض:

إنّ التّأني في قراءة ما ذكر من دراسات للباحث عبد المالك مرتاض حول أجناس أدبية متنوعة يجد أن خطابه النقدي مشدود إلى أبعاد معرفية مختلفة، والقصد هنا هو المصادر والمنطلقات التي بنى عليها مرتاض رؤاه وأفكاره النقدية، وقد تنوعت هذه المصادر بين روافد تراثية ثرة بالكنوز المعرفية ومناهل غربية تتسم بالجدّة والتطور، إذ سعى إلى التوفيق بينهما دون قطيعة مع التراث أو تقوقع حول أنفسنا، ذلك أنّه "لو عزفنا عن الفكر النقدي العربي، وجئنا إلى الفكر النقدي الغربي المعاصر، لانبهرنا أمام دروبه ومجاهله، ومثل هذا السلوك العقيم العاق معاً، سيدفع بنا إلى الانتحار الفكري؛ لأنّه سيجعلنا قوما دون هوية، أدباء دون أدب، ونقاد دون نقد، بل قد يدفع بنا إلى اتخاذ الانقطاع المعرفي سبيلاً نسلكها"<sup>1</sup>، ولهذا وجب الانطلاق من الماضي مع الانفتاح على الحداثة قصد الوصول إلى خطاب نقدي توفيقى يجنبنا مزيداً من التأخر في حقل الدراسات النقدية الحديثة.

### أ- المنهل التراثي:

ساهمت البيئة التي نشأ فيها عبد المالك مرتاض في صناعة شخصية المفتخرة بالتراث العربي، وهو الذي ترعرع وسط عائلة محافظة ساعدته في حفظ القرآن الكريم والإمام بمتون النحو كألفية بن مالك والأجرومية، الأمر الذي ألهمه حبّ اللغة العربية والاعتزاز بها، فالسرّ كما يقول مرتاض: "أولا لغتي عربية صافية، لغة قرآنية ولا فخر، لأنني أحفظ القرآن وختمته إحدى عشر مرة ... إذن هذا المفتاح

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، في الأمثال الزراعية (دراسة تشرّحية لسبعة وعشرين مثلاً شعبياً جزائرياً)، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1987، ص06.

الأول، الأمر الثاني من الوجهة النظرية أو المنظورية، أحاول دائما أن انطلق من التراث، كما فعلت في ألف ليلة وليلة<sup>1</sup>، وكما يظهر للقارئ في كثير من دراساته النقدية التي سعى فيها إلى تجسيد الخطاب النقدي العربي وتجاوز الأحكام القيمية الانطباعية في النقد القديم.

يستند الناقد مرتاض في تجربته النقدية السيميائية على ثنائيتي التراث والحداثة، فكان بمثابة الباحث الحصيف ينهل من النظريات الوافدة من الغرب مع تمسكه بالتراث، وهذا ما يظهر عياناً "من خلال الحوار المنهجي الذي يقيمه بين القديم والجديد، ومن خلال ذلك التأصيل النظري والممارسة التطبيقية التي يقابل فيها بين بعض إشكاليات التراث وبعض مسائل الحداثة المنهجية، كما فهمها وصاغها، مقترحا في خضم ذلك مفاهيم جديدة تكمل النص الموجود وتملأ الفراغ المعين ... بغية تأسيس بدائل معرفية، وصياغة نظرية -أو نظريات- نقدية<sup>2</sup> تتلاءم مع البيئة الجديدة وتقارب النص العربي دون تشويه، ما يجعل الباحث أمام حتمية لا مفر منها، وهي أنّ الحداثة لا نفع لها دون لقاح تراثي يأمن فيه هذا الباحث الواعي من مزلق أتباع الثقافة الغربية ونظرياتها ذات البعد الفلسفي والإيديولوجي، فالتطور الحاصل في وعيه النقدي لم يكن وليد اللحظة بل تشكل أثناء تتبعه لتحويلات النقد الغربي وانفجاره بعد الدرس السوسيري، ولهذا فنظرته التوفيقية بدأت مع البنيوية فلم يكن " الدكتور مرتاض في كتابه النص الأدبي من أين إلى أين؟ بنويوا بالمفهوم الخالص للبنيوية المدرسية، ولم يكن منتميا إلى الأسلوبية ذلك الانتماء المدرسي ... وقد استطاع أن يتمثل أحدث أساليب النقد

<sup>1</sup> حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر (قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك)، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف 2، 2018-2019، ص 326.

<sup>2</sup> قادة عقاق، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد المالك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة، مجلة نزوى، سلطنة عمان، ع38، أبريل 2004م، ص 272.

الأوروبي الحديث مع استعداد صادق وأصيل لكي يوظفه توظيفا عربيا ويرفد به ثقافته الحائرة بين القديم والجديد، وبين الأصل والوافد"<sup>1</sup>، فهو تراثي لا يرفض الحداثة، وحدائي لا ينقطع عن التراث، الأمر الذي أسهم في تجديد أدواته الإجرائية والتحليلية، ويتخذ في المنهج التركيبي طريقا لمقارعة مختلف النصوص الإبداعية في إطار التفاعل الإيجابي بين المنهج والنص، "ولعل ذلك ما جعله يؤسس اتجاهها نقديا من خلال دعوته إلى:

1- فتح الباب أمام الدارسين المحدثين للدخول إلى عالم الحداثة والتحرر من التبعية التقليدية والتحول إلى نقاد أحرار يتجهون الوجهة التي يرونها مناسبة لمؤهلاتهم.

2- التأسيس لمنهج نقدي خاص به تتجمع فيه مجموعة من المناهج (السيميائية، التفكيكية، التأويلية ..)"<sup>2</sup>

إنّ الباحث عبد المالك مرتاض لا يتمسك بالتراث من منطلق عاطفي بل دافعه علمي، يرى من خلاله أن التراث العربي "عظيم خصيب، وموح ملهم، ونافع حدائي، إلى درجة أننا نلفي لكثير من المفاهيم الحداثية الغربية: النقدية واللسانية والسيميائية جذورا لها في هذا التراث ... فما من رأي يبدو لعاشق بهرج الحداثة الغربية أنّه مبتكر أصيل، وأنّ صاحبه لم يسبق إليه: إلا وقد نلني له مصدرا أو إشارة أو بداية في هذا التراث المزدهر بالمعرفة"<sup>3</sup>، ونجد أنّ أستاذه أندري ميكائيل ( André

<sup>1</sup> عبد العزيز المقالح، قراءة أولية في نموذج أدب المغرب الكبير، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص182.

<sup>2</sup> علي خذري، تحديث النقد الأدبي، الملتقى الوطني الاول حول النقد الأدبي الجزائري، 21-22 ماي 2006، جامعة المسيلة، ص114.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم (مسائل حول نظرية الكتابة)، دار الغرب، الجزائر، ط1، 2003، ص7-8.

(Miquel) قد تفاجأ بهذه المسحة الحداثية في التراث الأدبي العربي وذلك أثناء محاضرة ألقاها بجامعة وهران، حيث قال في بيت لبيد بن ربيعة:

وجلا السُّيولُ عن الطُّلولِ كأنَّها زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوْنُها أَقلامُها

قال: "إنه بيت حدائي جدا"<sup>1</sup>

إنّ هذا المصدر المتين المتمثل في التراث العربي الذي اتكأ عليه بالإضافة إلى اعتماده تصورات المدرسة الفرنسية من خلال الاحتكاك المباشر مع أقطابها وسَّع من مداراته المعرفية، الأمر الذي ساهم في إرساء النظرية السيميائية داخل البيئة العربية، ولعل أبرز قضية اشتغل عليها الباحث هي محاولة الإمام بالمصطلح عن طريق ربط مصطلحات المنهج السيميائي بما يوافقها من مصطلحات من التراث اللغوي العربي، فالمصطلح مفتاح كل نظرية ومنهج والإحاطة به يساعد في فهم هذه النظرية ما يترتب عنه قراءة واعية للنص وفك شفراته، ويبرز مصطلح السيميائية كأهم مفهوم في هذا الحقل، حيث سعى إلى تقصي حضوره في المصادر العربية، قائلاً: "إنّ السيميائية آتية من مادة (س و م) التي تعني فيما تعني العلامة التي يعلم بها شيء ما، أو حيوان ما، ومن هذه المادة جاء لفظ السيماء (بالقصر)، والسيماء (بالمد)، والسيماء، ومن اللفظ الأخير أخذ منظرو اللسانيات والسيميائيات العرب مصطلحهم المعروف تحت اسم السيميائية"<sup>2</sup> رغم أنّ هناك من يتجه إلى مصطلح سيميولوجيا كما أنّ هناك ترجمات وصلت إلى ست وثلاثين ترجمة، وما هذا إلا انعكاس لما يعيشه المصطلح في موطنه من

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، مدخل في قراءة الحداثة، مجلة البيان، الكويت، ع317، ديسمبر 1997، ص07.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة تجليات الحداثة، العدد 02، جامعة وهران، يونيو 1993، ص13-14.

تشظ بين السيميائيين الغربيين، ولتجاوز إشكالية ضبط المصطلح يمنح الباحث دائما إلى أمثل حل من خلال صناعة مصطلحات لها حضورها في الواعية الثقافية العربية، مبتعدا عن طرائق أخرى استعملها النقاد العرب كتعريب المصطلحات، وباستقراء عابر لمختلف دراساته نجد جهدا كبيرا من الباحث في صناعة المصطلح ومن أمثلة ذلك مصطلح الانزياح الذي قابله بمفهوم العدول، قائلا: "سواء علينا أتمثلنا هذا المفهوم في ثوبه البلاغي القديم (العدول)، أو في ثوبه السيميائي الجديد (الانزياح) فإنه في الحالين الاثنان، يكاد يعني شيئا واحدا لدى ريفاتير وقريماس وجان دييوا وأصحابه، وغير هؤلاء من اللسانياتيين والسيميائيين المعاصرين"<sup>1</sup>، كما نجده يعيب على الباحثين العرب استعمالهم لمصطلح الفضاء مقابل ل (espace) فيستعوض عنه بمصطلح الحيز والتحييز انطلاقا من الموروث في اللغة العربية ذلك أنه يرى في "إطلاق مصطلح الفضاء لا يحتمل كل الأحمال الدلالية المتعلقة بأصناف الاطوار التي تعتور المكان من حيث هو؛ يضاف إلى ذلك أن تعاملنا مع الحيز بمفهومنا نحن لهذا المصطلح ... لا يرمي بالضرورة، إلى تسليط الضوء على المكان من حيث هو مفهوم تقليدي؛ ولكنه يشرئب إلى منحه شحنة جديدة من الدلالة السيميائية بتوسعة مفهومه .."<sup>2</sup>، فهذه النظرة من الباحث تشير إلى أنه تراثي إلى حدّ النخاع كما أنه حدثي واعٍ بمفاهيم الدرس السيميائي ومصطلحاته، وبنفس المنحى تعامل مع مصطلح (Isotopie) الذي استعاره من أطروحات غريماس حيث قابله بمصطلح تراثي ظهر سابقا عند الجاحظ بغير هذا المعنى الحدائثي، فوضع لهذا المصطلح السيميائي مقابلا هو المشاكلة، فيعرفه قائلا: "إنّ المشاكلة أو التشاكل فرع من

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة - قصيدة القراءة، ص 130.

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص 62.

فروع السيميائية، وغايتها تتمخض لخدمة الدلالة عبر الجملة، وبالتالي عبر النص، وبالتالي عبر الخطاب الأدبي<sup>1</sup> والملاحظ الذي يبدو في كثير من مصطلحاته والذي أعابه عليه عديد الباحثين هو اعتماده أكثر من مقابل كالمشاكل والتشاكل غير أنّ مرتاض لا يغفل عن ذلك فيرى في "هذا المفهوم لا يبرح مرجا مضطربا، وهو في تصورنا - بحكم حداثة نشأته - إلى بلورة وصقل وتدقيق، ولعل من أجل ذلك اجتهدنا نحن في التصرف فيه، فذهبنا إلى أقصى ما يمكن الذهاب إليه لدى التطبيق"<sup>2</sup> فيغدو المصطلح ذو دلالة أوسع خاصة وأنه ينطلق من ثنائية اصطلاحية عند غريمانس هي (Isotopie)، (Isomorphisme).

#### ب- المرجعية السيميائية الفرنسية:

شكّل التحدي الذي قدّمه الباحث عبد المالك مرتاض لأستاذه المستشرق الفرنسي أندريه ميكائيل نقطة فارقة في حياته النقدية بعد أن تحمس في تكرار إعداد بحث الدكتوراه، يقول مرتاض لأستاذه: "قلت له (أي أندريه ميكائيل) كنت مسجلا بجامعة الرباط، ولكن الأمر هو كذا وكذا، فقال لي هل بإمكان الشخص أن يعيد الكرة في إنجاز أطروحة الدكتوراه فيبدأ من جديد بعد أن انتهى، فقلت له أنا أعيدها، فقال: (j'admire votre courage) أنا معجب بإرادتك، (j'accepte volontier) أقبل تحديك"<sup>3</sup>، فانطلق بعدها مباشرة إلى موطن السيميائية أين تشرب معين أطروحاتهم من أفواه أقطابهم المؤسسين لها، الأمر الذي ساعده في استيعاب هذه النظرية وتمثل

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، شعرية القصيدة - قصيدة القراءة، ص 24.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،

2001، ص 158

<sup>3</sup> حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، ص 324.

أفكارها، يعترف الباحث - في فضل أستاذه- قائلا: "إنّ قصتي مع المكونات الغربية، ابتدأت بمنهجية ووعي ... منذ أن تعرفت شخصيا على أستاذي، المستشرق الفرنسي المعروف والذي تعلمت منه في جلسات قصار (بالكوليج دو فرانس) كثيرا من العلم، وكثيرا من التأصيل المنهجي خصوصا، وقد جعلتني هذه السيرة أعيد النظر في ترتيب أوراقي"<sup>1</sup> النقدية، ليصبح فيما بعد حلقة واصله بين ما استجد من مناهج حداثة ومدونة نقدية عربية موسومة بالقدم تعاني الخصاص.

وعليه فإنّ المتأمل في الخطاب السيميائي المرتاضي يجد أنّه مرتبط في مجمله بأطروحات مدرسة باريس السيميائية، وهو ما يظهر من حضور الكثير من المفاهيم الغريماسية في أبحاثه، ففي بحثه الموسوم ب: أ-ي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد) يستند في تعريفه للسيميائية على ما جاء به غريماس وتلميذه كورتيس في كتابهما (sémiotique) ، غير أنّ اعتماده هذا المشرب السيميائي لم يكن اعتمادا أعمى بل سعى إلى وضع بصمته أثناء نقل مصطلحات هذه النظرية، يقول مرتاض: "حاولت تطوير هذه المفاهيم وتطويعها لا تجاهلها فأضفت عليها معان جديدة لم تكن فيها من قبل"<sup>2</sup> بغية صياغة بدائل معرفية تحرك ركود الخطاب العربي.

إنّ تجديد الخطاب النقدي العربي يتطلب طموحا حداثيا قويا، هذا الطموح الذي بدا واضحا عند الباحث عبد المالك مرتاض من خلال رؤيته الحداثية التي تظهر في دراساته المتنوعة وفق المنهج السيميائي، ففي معالجته السيميائية التفكيكية لرواية "زقاق المدق" يستعير مصطلحا لسانيا من رؤى غريماس هو الخطاب (Discours) الذي يظهر في كل دراسة نقدية غير أنّ مرتاض تبرز حداثته

<sup>1</sup> جهاد فضل، حوار مع د. عبد المالك مرتاض، ضمن كتاب أسئلة النقد، الدار العربية للكتاب، مصر، دت، ص 217.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، أ-ي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد)، ص 21.

التأصيلية لهذا المصطلح من خلال تتبع ظهوره في اللغة الفرنسية ( Discours )، اللغة الإنجليزية (Discourse)، واللغة الإسبانية (Dscurso) ، ثم يرصد معانيه المختلفة في القرآن الكريم التي "تنطلق في أساسها من وضع اشتقاقي واحد: يعني إقناع المخاطب، أو العجز عن الإجابة أمامه؛ والمعنى الأخير لموقف الإنسان أمام الله سبحانه وتعالى"<sup>1</sup>، أمّا النحاة العرب فيرى مرتاض أن مفهوم الخطاب عندهم رغم بساطته فهو يقترب من المفهوم الحدائي الذي استعمله غريماس بشكل أوسع يتجاوز "المتلقي المشافه" من خلال وضع تعريف لهذا المصطلح "والذهاب إلى اشتقاق معنى جديد منه هو ما يمكن ترجمته - حسب اقتراح مرتاض- بـ "الخطبية" (Discurvisation) (Discursicization) على الرغم من ثقل هذا الاستعمال في العربية اعدم جريانه على الألسنة والأقلام من قبل، والخطبية لديه - حسب غريماس - عبارة عن جملة من الإجراءات المتعلقة بوضع الخطاب موضع الإنجاز، أو في حالة إنجاز<sup>2</sup>، فهذا المصطلح لا يعدو عينة من عشرات المصطلحات التي تبرز حضور المفاهيم السيميائية الغريماسية في تفصلات المدونة النقدية المتراضية سواء في دراساته السردية أم الدراسات الشعرية؛ ففي بحثه الموسوم بـ: شعرية القصيدة - قصيدة القراءة استعان بمفاهيم انبثقت من رؤى غريماس كالتشاكل والمربع السيميائي حيث "تبني نماذج من الدرس السيميائي متناولا في المستوى الأول - من تحليله لقصيدة أشجان يمانية- عدسة التشاكل كعينة نظرية من المفاهيم السيميائية، التي اهتدى إليها من خلال سيميائية قريماس (Aj Greimas) وفي هذا السياق حاول الإمام بنظريات قريماس حول التشاكل بالذات ... انتقى عبد المالك مرتاض سبعة وثلاثين نمطا

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى ( معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)، ص 261.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 262.

تشاكليا (لفظيا ومعنويا) ليحللها بدقة، مستعينا في ذلك ببعض الإجراءات السيميائية مثل المربع السيميائي (Carré Semiotique)<sup>1</sup> للوصول إلى قراءة حقيقية عبر التحليل المستوياتي الذي اعتمده مرتاض، وإذ يستعين الباحث بهذا الإجراء - المربع السيميائي - فهو ليس بالإجراء الثانوي بل يرى فيه في بعض الأحيان نظرية سيميائية استمدتها من أطروحات غريماس، ولهذا كان له جهد كبير في ترجمتها وتقريبها للقارئ العربي ليستفيد منها في تحليل النص الأدبي، وبعد فهم عميق لهذه النظرية في موطنها توصل إلى أنه يراد "بالمربع السيميائي (Carré Semiotique) الاستحضار البصري للتهجي المنطقي لأية مقولة دلالية ... على أنّها علاقة بين حدّين اثنين على الأقل: لا تنهض إلا على تمايز التعارض الذي يتصف به المحور الاستبدالي للغة ... إذ بفضل هذا النموذج سيمكن من تمييز الملامح الأصلية المشكلة للمقولة، عن الملامح الغريبة عنها"<sup>2</sup> من خلال ما يوفره من علاقات ثنائية (علاقة تناقض، علاقة تعارض، علاقة تكامل).

ورغم هذا الحضور الطاعني لمفاهيم غريماس في أبحاث مرتاض إلا أنّه لا يخفي تعارضه مع بعض رؤاه في عدّة مناسبات، وهو ما لمسناه في المدخل المنهجي لبحثه الموسوم بـ "التحليل السيميائي للخطاب الشعري" حين عارض انغلاق النص على قراءة علمية واحدة، قائلا: "نحن نعجب لهذه العبارة التي توهم بوجود قراءة علمية خالصة العلمية لنص خالص الأدبية ... يصير قرّيماس وأصحابه

<sup>1</sup> مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 79-80.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، نظرية المربع السيميائي لقرّيماس، مجلة علامات، العدد 38، رمضان 1421/ديسمبر 2000، ص 311-

على مطالبتنا بإغلاق النص، أي بإلغاء كل القراءات الغيرية، والتمسك بقراءة واحدة بحجة أن تعددية القراءة تفضي حتما إلى تحيز، بل إن هذا الموقف هو الذي يمثل شيئا من التحيز<sup>1</sup>

## 2- سؤال المنهج عند عبد المالك مرتاض:

مما لا شكّ فيه أنّ الخطاب النقدي السيميائي عند مرتاض قد شهد تطورا لافتا، سواء على المستوى النظري أم على المستوى التطبيقي، بالإضافة إلى نشاط الحثيث في مجال ترجمة مفاهيم النظرية السيميائية ومحاولة تعريب مصطلحاتها، مستلهما أهم أفكاره من النقد الغربي وهو الذي تشبع بأطروحات المدرسة الفرنسية، حيث حاول تمثّل مفاهيمها أثناء ممارسته التطبيقية رغم أنّه يروم التركيب المنهجي أثناء معالجة النصوص "انطلاقاً من حتمية انعدام الكمال في أي منهج، فإننا لا نستقيم، من حيث المبدأ، إلى أي منهج إذاً؛ ونجتهد أثناء الممارسة التطبيقية، أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية لمنح العمل الأدبي الذي ننجزه شيئا من الشرعية الإبداعية، وشيئا من الدفء الذاتي، معاً"<sup>2</sup> وهو ما اختبره عملياً في مقارباته، متخذاً في مشروع النقد مذهباً قرائياً جديداً.

يظهر الناقد عبد المالك مرتاض متفرداً في مقارباته النقدية من خلال مقارنته لمختلف النصوص، الشعرية والنثرية، القديمة والحديثة، الفصيحة والشعبية، وحتى الدينية منها، وفق آليات تحليلية متميزة تسعى إلى تجاوز المنهج الواحد إلى اللامنهج أو ما يسمى المنهج الشمولي، فقد شكّلت له هذه القضية هاجسا فكريا يساوره مع انطلاق كل دراسة تطبيقية بين مطرقة الوفاء لآليات المنهج

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص 08.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ( معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)، ص: 06.

السيميائي وسندان التراث النقدي العربي حتى تكون أبحاثه موسومة بالفاعلية بعيدة عن كل تقليد وتشويه، ونظرا لازدواج تحصيله الثقافي من التراث والحداثة تشكلت خلفية الباحث المعرفية ووعيه المنهجي الذي جعله في " تفاعل مستمر مع معطيات السوق الأدبية والنقدية المعاصرة، رغبة منه في ألا يمس بضاعته كساد، يساوره قلق منهجي دائم، وهي حالة صحية على العموم، نابعة من عدائه المطلق لأي أشكال التعصب النقدي، وإيماناً متجذراً باستحالة تأسيس منهج ثابت لكل جنس أدب متحول"<sup>1</sup>، وهذا جوهر كفاءته النقدية التي تنشده الكمال والعمق في تحليل النص وفق آليات إجرائية مرنة تحيط بكوامن هذا النص وتمفصلاته الدلالية.

وعطفا على ما سبق، فإنّ مرتاض مع بداية كل دراسة يجدد طرحه لأهم سؤال في خطابه النقدي ألا وهو "سؤال المنهج"، فهذا التجدد في طرح السؤال قابله تطور في مقارباته، فهو من أكثر النقاد العرب تطورا على مستوى المنهج، وأعمقهم انشغالا بالثورة المنهجية، وأقدرهم وعياً بمكانة المنهج النقدي، إذ لا يكاد يخلو كتاب من كتبه النقدية الغزيرة من مقدمة شافية تستوفي الإشكالية المنهجية"<sup>2</sup> لوضع الدراسة في طريقها الصحيح، برؤية قرائية احترافية تتحكم في دراسة المتن الأدبي، وهو ما ظهر في كتابه المعنون ب "شعرية القصيدة، قصيدة القراءة" حين قارب قصيدة "أشجان يمانية" للشاعر عبد العزيز المقالح وفق المنهج المركب، حيث "تشكل إحدى الممارسات العملية المتميزة، والتي انجزها وفق التحليل السيميائي، التكامل المنهجي، والتعددية القرائية، مستفيدا من بعض

<sup>1</sup> يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض (بحث في المنهج وإشكالياته)، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، ص7.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص31.

مقولات ومناهج المدارس النقدية الغربية المختلفة، ومحاولا تطويرها لما يخدم رؤاه النقدية<sup>1</sup> وترسيخا منه لتوجهه الجديد الذي يسم خطابه النقدي الحدائي، ذلك أنّ الوصول إلى عمق النص والكشف عن خباياه لا يتأتى بمنهج واحد بل يستوجب تركيبا منهجيا يحيط بالنص ومعانيه الثاوية فيه.

ونجد أنّ هذا المسعى حاضر في مقارباته السردية من خلال قراءته المركبة لرواية زقاق المدق، حين خصص مدخلا تحت عنوان "التحليل الروائي .... بأي منهج؟ حيث يصل به القلق المنهجي ذروته حول هذا المتن العالم بجملة من التساؤلات بدءاً بـ "هل يوجد منهج ثابت للتحليل الروائي؟ أي هل يمكن تأسيس منهج ثابت لجنس أدبي متحول؟ وهل من الخير أن نأتي ذلك فنجمد هذا الجنس الأدبي المتميز لمجرد حب التطلع إلى تأسيس ذلك المنهج المنشود؟ ثم أي منهج هذا الذي يستطيع استيعاب هذا العالم المعقد، المتشعب، والمتغير، والعجيب معاً؟"<sup>2</sup> وهو ما يستوجب ابتكار منهج قرائي جديد يواكب التطور الحاصل في النظريات الغربية ويحاكيها، حتى يستطيع الباحث بوعيه الصارم فك شفرات هذا الجنس الأدبي المعقد، وهذا ينم عن رؤية ثاقبة وسعي حثيث منه لتجاوز مستنقع النقص والتأخر عن ركب النقد العالمي، "انعدام الكمالية في المنهج لا ينبغي له أن يلقي بنا في هوة سحيقة بحيث لا نصل إلى الكسل والقنوط؛ مدّعين أنّ لا فائدة من وراء أيّ مسعى من المساعي ما دامت لعنة النقص ضربة لازب تطاردنا أنّي سعيها، وحيثما توجهنا؛ بل يجب أن نسعى بصرامة وإصرار، من أجل التطوير المستمرّ للأدوات المنهجية تأصيلاً وإجراءً"<sup>3</sup> فامتلاك ناصية المنهج خطوة أولى من أجل

<sup>1</sup> مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 78.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردية (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ص 3.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل بن الحلي)، ص 10.

إنتاج قراءة واعية للنص العربي تنتقي الأنسب من هذه النظريات الدخيلة وتكيفها مع ثقافة عربية لها خصوصيتها، دون ابتدال ورفضاً لكل تبعية غربية عمياء في هذا المجال.

وجدير بالذكر التنويه إلى أنّ "التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقدية الغربية، ونرى أنّ لا حرج في النهوض بتجارب جديدة تمضي في هذا السبيل، بعد التخمّة التي مني بها النقد من جراء ابتلاعه المذهب تلو المذهب، خصوصاً في هذا القرن"<sup>1</sup> ذلك أنّ جنوح مرتاض إلى التركيب المنهجي وميله إلى تعدد القراءات لم يأت من العدم بل تأثراً منه بالتيارات النقدية الغربية، ومن أمثلة ذلك لوسيان جولدمان (Lucien Goldma) الذي نزع نحو البنيوية التكوينية حين زواج بين التوجه البنيوي والنزعة الاجتماعية، ثمّ إنّ المناهج تكمل بعضها البعض، مثلها مثل كل حضارة تبنى على حضارة أخرى سالفة، وكذلك النظريات الفلسفية في معظمها تنفي القطيعة فيما بينها فكل نظرية تأتي استكمالاً لنظريات سبقتها، "فانبثقت السيميائية من ميراث مركب من اللسانيات البنيوية ودراسة الفلكلور والميثالوجيا، من أجل ذلك لا تجدها تبدي أيّ خجل من الإفادة من كثير من المصطلحات النقدية والنحوية واللسانية والفلسفية... فتحتويها وتكيفها مع إجراءاتها ومفاهيمها فتعالجها بالتطور والتغير حتّى أنّي أزعّم أنّ السيميائية في حقيقتها وريث اللسانيات البنيوية مقدمة في تقليعة جديدة"<sup>2</sup>، ولهذا يرى مرتاض انعدام الكمال في المنهج فهو قاصر في مقارنته للنص

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 06.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 8.

الادبي لأنّ "القيمة الأساسية لهذا المنهج (يعني المتكامل\*) في النقد، وهي أنه يتناول العمل الأدبي من جميع زواياه"<sup>1</sup> حتى يفجر كل مكنوناته الدلالية بكفاءة نقدية تشريحية جديدة ومحترفة توفر لنا إجابات لجملة التساؤلات التي يثيرها هذا النص، "فالمناهج بصفة عامة في النقد تصلح وتفيد حين تتخذ منارات ومعالم، ولكنها تفسد وتضرر إذا جعلت قيوداً وحدوداً... فكل قالب محدود هو قيد للإبداع"<sup>2</sup> وهو ما يستوجب التحرر من قيود المنهج الواحد والسعي إلى "الإفادة من كل الأدوات والإجراءات والتقنيات لمحاولة تطوير مسار هذا النقد، فهو يشبه جهازاً معقداً يحتاج إلى جهود جميع الباحثين والعلماء من أجل تطويره لا إلى فئة واحدة فقط وأسوأ من ذلك إلى شخص واحد فقط"<sup>3</sup> يتفرد بقراءة واحدة وأدوات إجرائية وتطبيقية ضيقة تحول بينه وبين محاصرة العوالم المعقدة للنص وسبر أغوارها.

إنّ هذا المنحى من مرتاض جعله يتعرض لوابل من الانتقادات خاصة وأنّ الواقع النقدي العربي يعيش على مآزق نقدية متعددة ساهمت في تأخره، فمنهم من يرى في هذا المذهب الجديد ضعفاً وعدم تمكن من المنهج الواحد وأدواته الإجرائية يقول مُجَدِّ عَزَّام: "الاعتذار عن جمع أكثر من منهج واحد ليس سوى ضعف الإحاطة بمفاهيم المنهج الواحد ومقولاته، وجب التوفيق بين أكثر من منهج

---

\* يختلف الدكتور يوسف الوغليسي مع سيد قطب في مفهوم المنهج المتكامل حيث يرى: أنّ المنهج التكاملي أبعد المناهج عن تسمية (المنهج المتكامل) الذي سمّاه بما المرحوم سيد قطب آخرون، والتي لا نرتاح لها كثيراً لأنها صفة من صفات الآحاد، أي المنهج الواحد في انسجامه وترابطه وتكامل صورته المنهجية، لكنّها نادراً ما تتوفر في كشكول منهجي أو منهج موسوعي، كالمنهج التكاملي، وما أبعد الكامل عن التكامل. ينظر يوسف وغليسي، النقد الجزائري من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، 2002م، ص 103.

<sup>1</sup> سيد قطب، النقد الأدبي، ص 256.

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص 253.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 7.

إن لم نقل تليفق<sup>1</sup>، ومن النقاد الذين انتقدوا مرتاض نذكر فاضل ثامر حيث قال: إنّ " دراسة سيميائية تفكيكية هي عنوان لكتاب يبدو عليه النشاط وعدم التجانس من الوهلة الأولى وذلك لأنّ السيميائية تعنى بنظام العلامات، وتهتم بصفة الدال والمدلول ... أمّا التفكيكية فجاك دريدا نفسه وهو زعيم الاتجاه التفكيكي يعلن أنّ قراءته التفكيكية هي إساءة للقراءة إنّها تحاول أن تفرض استراتيجيات الإنسان على الإنسان<sup>2</sup>، غير أنّه ينقلب على كلامه بعد ذلك ويوافق مرتاض في منحاه ويقرّ بشرعية التعددية المنهجية من خلال كتابه اللّغة الثانية، ونجد العديد من النقاد الذين تبنا هذا التوجه أمثال عبد الله إبراهيم والناقد السعودي عبد الله الغدامي ممّن تشرّبوا مفاهيم النظريات الغربية ومناهجها وفهموا أسسها الإبستمولوجية وكان لهم وعي حقيقي بمخاطرها ومزالقها ما يجنبهم قراءة تليفقية لا أساس لها.

### ثالثا: العنوان وتمثلاته في الممارسة التطبيقية عند عبد المالك مرتاض

استهل الباحث عبد المالك مرتاض معالجته التفكيكية السيميائية المركبة لرواية (زقاق المدق) بمدخل مهم يوضح فيه المنهج المتّبع في هذه الدراسة، حيث يطرح سؤاله الرئيس والمتواتر في أغلب دراساته: التحليل الروائي ... بأي منهج؟ وعيّا منه بأنّه السؤال الأهم لكل قراءة محترفة، واستجلاءً منه لأهمية التركيب المنهجي الذي يعوّل عليه للإحاطة بكوامن العمل الادبي العربي، وهو ما يجنبه التعنت لتوجه معين يقول مرتاض: "فما كان علينا أن نأتي والحال من سيرة المناهج ما عرفنا، أفكان

<sup>1</sup> مجّد عزّام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة (قراءة في نقد النقد)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص137.

<sup>2</sup> ثامر فاضل، مقاربات النقد المعاصر، كتابات معاصرة، المجلد 1، العدد2، آذار 1989، ص27.

علينا أن نساق نحو مدرسة منهجية نتعصب لها ونتعصب على المدارس الأخرى لنغلق من بعد ذلك على أنفسنا داخل أيديولوجيا، مهما تك معقدة متطورة، فهي في رأينا ساذجة مغالطة بحكم طبيعتها مكابرة بحكم وظيفتها متعصبة بحكم رؤيتها الأحادية إلى الأشياء والأحياء<sup>1</sup> وهذا ما جعله يجيد عن البنيوية التكوينية ويرى أنّها نظرية غير دقيقة وقاصرة عن الإحاطة ببنية النص الروائي وما ينطوي عليه من جمالية، هذا الأمر جعله ينزع إلى البنيوية الممزوجة بالسيميائية للوصول إلى بني الخطاب السردى السطحية والعميقة من خلال دراسة البنية (الطبقية / القهرية) في رواية زقاق المدق كما عرّج على البنية المعتقداتية وما يحمله الزقاق من شعائر وخرافات تتمثلها شخصيات الرواية، ويختم بالبنية الشبقية التي تعنى بالعلاقات الجنسية بين الشخصيات، وحين وصوله لعالم الشخصيات استنجد بالسيميولوجيا لتحليل ملامحها وما ترمي به من إشارات يستوجب الوقوف عليها وتأويلها، فمقارنته تقتضي الدخول المحامد إلى النص، والتجرد - قدر المتاح - من الآليات المنهجية الصارمة...لمواجهة النص مواجهة مرنة، تتظاهر بأدوات منهجية قابلة للتطويع بما يعمق عطائته<sup>2</sup>.. هذه المرونة في تطويع مختلف المناهج وما يترتب عليها من نتائج باهرة شكلت فناعة راسخة لدى الناقد مرتاض بأنّ القراءة الأحادية تقف عاجزة أمام نصٍ يمثل عالماً بلا حدود وهو ما سيسقط صاحبها في فخ التلفيق، فهذه النظرة تعكس تميزه المتفرد والتي تتجلي في أكثر مقارباته النقدية رغم امتعاض العديد من النقاد والدارسين إزاء هذا التوجه المرتاضى الجديد الذي يعد لبنة أساسية في إرساء الدرس السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر.

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 09.

<sup>2</sup> يوسف وغليسي، في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية)، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012، ص307.

يعزو الناقد اهتمامه بمقاربة رواية زقاق المدق للأديب نجيب محفوظ إلى دوافع متعددة موضوعية وذاتية عاطفية يوردها بعد أن يستفهم حول أسباب اختياره الرواية وهي كالاتي:

- يعدّ الروائي نجيب محفوظ الأكثر حضوراً في الساحة الأدبية العربية في النصف الثاني من القرن الماضي وذلك بفضل كتاباته الروائية الثرة، ما جعل هذه الأعمال محور الاهتمام من قبل الدارسين العرب ومن بينهم الناقد عبد المالك مرتاض الذي أراد أن يتميز بقراءته لرواية زقاق المدق ذلك أنّ الدراسات حولها لم تستوفها حقها فجاءت ضعيفة باستثناء "بعض الدراسات التي ظهرت في السنوات العشر الأخيرة والتي حاولت أن تركز على قضايا فنية وتقنية معينة؛ فإنّ الدراسات الأخرى الكثيرة تتسم بالتعميم والفضفضة، وكأَنَّها تصر على أن لا تقول شيئاً عن بناء النص ونسجه"<sup>1</sup>، ثمّ إنّ هذه الرواية تمثل إحدى روائع أعمال نجيب محفوظ في نظر الناقد رغم تكالب القراء على باقي أعماله المتمثلة في: اللص والكلاب، الطريق، ثرثرة فوق الليل، لأنّه يرى: "لو اقتصر نجيب محفوظ على كتابة زقاق المدق وحدها لما حيل بينه وبين أن يكون، بها وحدها، أكبر روائي عربي معاصر"<sup>2</sup> وهذا سبب موضوعي قوي يجعله يختار هذه الرواية.

- قدّم الناقد مرتاض سبباً ذاتياً يتسم بالعاطفية جعله يختار هذا العمل الروائي المميز، قائلاً: "إنّ هذه الرواية كانت مما يدرس في كلية الآداب بالرباط ونحن بها طلاب سنة ستين فكانت أول نص نقرؤه لنجيب محفوظ: فارتبط بها الحنين، واندمج معها الماضي، فأردنا لحاضرنا أن

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 20.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 22.

يسجل تلك الذكرى في صورة مدارس من حولها<sup>1</sup> ذلك أنّ الانجذاب نحو شيء ما يصعب تفسيره في بعض الأحيان، وهو ما ينطبق على رواية زقاق المدق حين زواج مرتاض بين دوافع موضوعية وأخرى ذاتية تربطه بالحنين إلى الماضي.

قسّم الناقد الجزائري مرتاض بحثه هذا إلى قسمين رئيسين، قسم اشتغل فيه على البنى السردية المكونة لرواية زقاق المدق توزعت على ثلاثة فصول، حيث عمد إلى تتبع جملة من المواقف والنشاطات أثناء تفاعل الشخصيات فيما بينها والتي تنم عن الصراع الطبقي الدائر في المجتمع المصري خاصة وفي العالم عامة في إطار الفصل الأول الموسوم بالبنية الطبقيّة القهرية، وضمن الفصل الثاني المعنون بالبنية المعنوية حاول الإحاطة بمعتقدات المجتمع ومعالجتها إذ قسّم الشخصيات فيها إلى من له معتقد ديني صحيح مستمد من الشريعة الإسلامية، ومن له معتقد شعبي تؤمن بالخرافات، ولأن المجتمعات ديدنها التناقض عالج الناقد في الفصل الثالث البنية الشبكية والتي تبرز بقوة في هذا النص الروائي ليرصد من خلالها العلاقات الجنسية غير الشرعية ويخلص إلى "أنّ النص كان يميل إلى إحلال العقاب واللعنة بكل الذين يريدون ممارسة الجنس أو يتطلعون إلى ممارسته خارج الإطار المشروع، والعرف الاجتماعي المعلوم"<sup>2</sup>، والملاحظ بعد هذا الرصد والتحليل نجده يكشف عن عدّة جوانب اجتماعية تحكم الزقاق المصري عكستها العلاقات القائمة بين شخصيات النص وما تتصف به من طبائع خاصة ومعتقدات متنوعة.

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردية، ص 22.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 122.

لم يأل الباحث عبد الملك مرتاض جهداً في استثمار أدوات الدرس السيميائي أثناء مقارنته للنص الروائي زقاق المدق، حيث يجسد ملامح هذا الدرس من خلال ما يقدمه في القسم الثاني تحت عنوان التقنيات السردية، فقد أخذ هذا القسم الحيز الأكبر (180 صفحة للقسم الثاني مقابل 89 صفحة للقسم الأول) من دراسته لرواية زقاق المدق لكأنه يقول: إنّ النظرية السيميائية هي المنهج الأمثل لقراءة عميقة تحيط بكوامن هذه الرواية ودلالاتها الثاوية وراء كل سمة لعل أبرزها ما يصدر من شخصيات الزقاق بدءاً من أسمائها فيعمد إلى تأويلها ويعزو ذلك إلى أنّ التسمية في التراث العربي سيميائية تحدّث عنها أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتاباته، من أجل ذلك استرعى اهتمامنا أسماء الشخصيات التي اختيرت بدقة بحيث تؤشر إلى دلالة بعينها من أول وهلة<sup>1</sup> فهذا الاستناد إلى التراث العربي يظهر في تحليله لأهم شخصية من شخصيات الخطاب السردية لرواية زقاق المدق ألا وهي "شخصية حميدة"، حيث يستدعي فيها الانتماء العربي والاشتقاق من الصيغة "الحمد" والسهولة في النطق واللطافة في الصوت والعدوبة في المسمع، ذلك أنّ اختيار نجيب محفوظ لهذه الشخصية لم يكن اعتباطياً وتغيير اسمها إلى "تيتي" لم يأت عبثاً، بل إنّ اسم حميدة إذن موظف لوظيفة سردية جمالية واجتماعية وحضارية معاً، على حين أنّ تيتي إنّما جاء لينهض بوظيفة جديدة حين وقع التحول في شخصية الفتاة وفقدت كلّ صلة بماضيها الشقي ليدل على حاضرها الملوّث...<sup>2</sup> فالناقد من خلال براعته النقدية في التعامل مع سيميائية أسماء الشخصيات ووظائفها السردية المكونة للخطاب السردية يدرك أنّ شخصية الرواية لا

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردية، ص 128.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 130.

تحدّد في الغالب بالعلامة التي تُعلم بها، ولكن بالوظيفة التي توكل إليها. فقد يطلق روائي اسما جميلا جدا على شخصية شريرة جدا في عمله الروائي، نكاية في القارئ وتعتيما للأمر عليه؛ فلا تراه يهتدي السبيل إلى اللعبة إلا بعد انتهائه من قراءة الرواية<sup>1</sup> خاصة إذا كانت هذه الشخصية المتمثلة في "حميدة" هي الأكثر حضوراً في رواية زقاق المدق والأكثر تأثيراً وتأثراً فيها فتحليلها وتأويلها يتطلب إحاطة عميقة بكل جوانبها.

وقد سار مرتاض على هذا النحو في تتبعه لأهم الشخصيات المركزية في هذا المتن الروائي ورصد دلالتها السيميائية وتأويلها نذكر من هذه الشخصيات: المعلم كرشة، عباس الحلو، رضوان الحسيني، فرج إبراهيم، زيطة-جعدة-سنقر، الشيخ درويش، العم كامل، الدكتور بوشي، سليم علوان، سنية عفيفي، والملاحظ في تحليله لهذه الشخصيات رجوعه الدائم للتراث العربي فيستدعي معناها اللغوي من المعجم العربي فشخصية سليم علوان تستمد دلالتها من معاني السمو والرفعة، ثم إنه يتوسل بأدوات المنهج السيميائي لتأويل المعاني التي يحملها اسم هذه الشخصية تأويلاً مقنعاً - سليم علوان- ذات مكانة مرموقة في المجتمع، ونلاحظ أنّ هناك تبايناً في قراءة أسماء الشخصيات سيميائياً ذلك أنّ التأويل عنده يتناسب تناسباً طردياً وقيمة هذه الشخصيات في الرواية، فالناقد على وعي تام بأنّ "التسمية لم تكن بريئة، بل خضعت بدقة متناهية، إلى الوظيفة

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 87.

التي وُكِّلت إلى الشخصية المقصود بها، وهذا الصنيع في حدّ ذاته جزء من البناء العام لملامح الشخصيات، وتحديد إطار حركتها عبر الخطاب السردى<sup>1</sup> ومعها يتحدد عمق تأويلها.

إنّ المتتبع لمرتااض في تحليله السردى لمتن زقاق المدق يجده قارئاً حصيماً يستجلي بمقارباته مواطن الإبداع دون إغفال منه لمواضع الهنات في الرواية، فهو يروم من خلال دقة الملاحظة لديه الموضوعية والعلمية في الطرح، ويبرر أنّ الروائي نجيب محفوظ "يتورط في بعض الهنات، ويسقط في بعض التناقضات حيث يقدم الشخصية على أساس أنّ لها طبعاً معيناً ثمّ يتفق أنّ تسلك تلك الشخصية نفسها سلوكاً يتناقض مع ذلك الطبع الذي قدمت على أساسه من قبل"<sup>2</sup> خاصة إذا تعلق الأمر بحميدة الشخصية الأولى في الرواية حيث يجردها الراوي من عاطفة الأمومة وهي امرأة سليمة كاملة كباقي نساء الزقاق من أجل أنّ تسلك طريق الشذوذ<sup>3</sup>، كما يُعدّد الناقد الكثير من التناقضات الحاصلة في رسم بعض شخصيات الزقاق ذلك أنّه يرى "من العسير جداً على أيّ روائي أن يبني مجموعة كبيرة من الشخصيات، في عمل سردى، دون أن يتورط في بعض الهنات ويسقط في بعض التناقضات"<sup>4</sup>، ومن مواضع الهنات التي وقع فيها نجيب محفوظ ما عالجها الناقد تحت عنوان عيوب سردية فيتطرق أولاً إلى التدخلات السردية وما ينجر عنها استباق للأحداث واستعجالها ما يقضي على التشويق في الرواية، كما يتطرق ثانياً إلى انعدام الفروق اللغوية في

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 135.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 158.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 159.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 158.

مستوى اللغة والسردية لأنّ شخصيات الرقاق تتميز مراتبها الاجتماعية ما يترتب عنه تمايز في اللغة.

## 1- قراءة سيميائية في عنوان رواية زقاق المدق:

من المعلوم أنّ العنوان يحتل مكانة مهمة في المقاربة السيميائية للنصوص الشعرية أو السردية ذلك أنّه تُرّ بالدلالة والمعاني، كما أنّه مفتاح كل نص وبه تلج عوالم هذا النص، فالباحث السيميائي يسبر أغوار هذه العتبة الرامزة حتى يربط اتصالا جماليا بالمتن ويمسك بخيوطه الدلالية، على اعتبار أنّ "قيمة العنوان في علاقته بالنص غير المستكشف شبيه بقيمة الكلمة فيما تريد تعيينه فهو علامة نصية، تسعى إلى الكشف عن ملامح المجهول المنتظر ( النص )، وتخلق جواً من الألفة، يستأنس بها القارئ قبل أن ينخرط في رحلة استكشاف النص، والتسلل إلى ردهاته الداخلية"<sup>1</sup> للقبض على المعاني الثاوية فيه، ولهذا فالنص يستوجب نصا موازيا له يساهم في إنتاج دلالاته، والعنوان أحد عناصر هذا النص الموازي، وقد احتفى به النقاد الجزائريون عموما وعبد المالك مرتاض على وجه الخصوص، وتعدّد ظهوره في دراساته السيميائية والتي من بينها كتابه الموسوم ب: تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)، وقراءته السيميو تفكيكية لحكاية حمال بغداد من كتاب ألف ليلة وليلة.

تأسيسا على ما سبق نجد الناقد عبد المالك مرتاض قد تعامل مع عتبة العنوان باقتدار أثناء مقارنته للمتن الروائي "زقاق المدق"، انطلاقا من أنّ العنوان مكون رئيس لكل عمل أدبي ودراسته

<sup>1</sup> عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سورية، 2011، ص:15.

تساهم في استجلاء دلالات النصوص، بالإضافة إلى أنه "علامة سيميائية يمكننا تفكيكه كنص مستقل، أو كبنية مصغرة مكثفة بتمطيها نحصل على البنيات التّمفصليّة للنص الرئيس، وبما أنّ العنوان جزء من النص فهو ينعكس عليه، كونه السجل الشكلي الذي يتمثل فيه القول"<sup>1</sup> فاستكناه كموناته الدلالية يساهم في إضاءة عتمة النص من موقعه الاستراتيجي حين يظهر كعلامة (signe) فياضة بالمعاني تتصدر النص ومن هنا يستمد العنوان مكانته المهمة في أي مقارنة سيميائية ما يعني أنه يتحتّم علينا أن نجعل له مساحة أوسع ضمن فضاء تدبر النص الأدبي وتأويله حتى نقتنص شيئاً من الدلالة تنقلنا إلى عوالم النص قبل الأوان، ذلك "أنّ المؤلف أفرغ فيه جهداً، وتطلب منه اختياره؛ لأنّ صياغة عنوان أي عمل إبداعي جزء من الكتابة الفنية؛ نظراً لما للعنوان من أهمية على المستوى الإعلامي (الإشهار) أولاً، على المستوى الفكري ثانياً، زعلى المستوى الجمالي ثالثاً، ونظراً إلى كلّ الاعتبارات، فإنّ العنوان ذو أهمية خاصة بالنسبة للمؤلف والمتلقي على السواء؛ لأنّ جماع النص وملخصه"<sup>2</sup> وبه تبدأ عملية التفاعل مع هذا المتلقي ضمن فضاء سيميائي دقّاق يغريه بفيض إيجاءاته ومرونته التأويلية فيستميله إلى المغامرة ومحاوله تجاوز بنيته السطحية إلى بنيته العميقة.

**وهنا نطرح التساؤل الآتي: كيف تعامل الناقد عبد المالك مرتاض مع عتبة العنوان سيميائياً؟**

<sup>1</sup> شادية شقرون، سيمياء الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص31.

<sup>2</sup> إدريس الناقوري، لعبة النسيان (دراسة تحليلية نقدية)، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص51-52.

إنّ ما يميز الخطاب السيميائي عند عبد المالك مرتاض استراتيجيته القائمة على المزاجية بين الطرح النظري والممارسة التطبيقية وهذا في جلّ دراساته، وهو ما لمسناه من خلال تحليله لرواية زقاق المدق حيث عمد أثناء تحليله لأي مكون سردي من هذا المتن إلى إبراز إحاطته النظرية له ومن ثمّ تأويله، وعلى هذا النهج استند مرتاض في استقراءه عنوان هذه الرواية حيث ينوّه إلى أنّ "أيّ عنوان لأي كتاب يكون عبارة صغيرة، تعكس عادة عالم النص المعقد الشاسع الأطراف"<sup>1</sup> وهذا ما ينطبق على "زقاق المدق" حين تقاطعت نظرة الناقد له مع ما ذهب إليه طه حسين قائلاً: "إنّ هذا العنوان مرتبط ارتباطاً عضوياً بالنص الذي يعنونه؛ فيكتمله ولا يختلف معه؛ ويعكسه بأمانة ودقة. فكأنّه نص صغير يتعامل مع نص كبير: فيأخذ به، ويهيئ له السبيل للمقروئية لأنّه يكشف عمّا أراد الكاتب أن يبلغه إلى متلقّيه"<sup>2</sup> قبل الخوض في عوالم النص المتشعبة وفهم مكنوناتها، فالعنوان نص يوازي النص الأصلي على رأي جيرار جينيت.

دائماً ما يبدأ الناقد مرتاض تحليله لمكونات رواية زقاق المدق بالإفادة من المعجم العربي يليه تأويل أعمق لها، ولم يجد عن ذلك في تحليله لعتبة العنوان فهو يرى "أنّ عبارة زقاق المدق تعني مكاناً محصوراً بين بنايات ممتدة على جانبيه تستدير بهما بنايات أخريات أرضية وشاهقة تشكّل ما يعرف بالمدينة"<sup>3</sup> فالزقاق ببساطة ما هو إلا طريق ضيق لأنّه "لا يدخل في إطار اللغة الجديدة، ولا يحمل

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 277.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 277.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 276.

أيّ دلالة خارقة<sup>1</sup> على رأي مرتاض وبالاتفاق مع طه حسين، وهذه قراءة سطحية لأهم عتبة من عتبات الرواية لأنّ المكان تقوم عليه بالأساس هذه الرواية وبه ترتبط باقي الأمكنة التي وظفها الراوي في متنه كالأزهر وسيدنا الحسين .. الخ وتتحرك ضمنه الشخصيات وتتدافع فيه الأحداث، ثمّ كيف لنجيب محفوظ أن يعمد إلى توظيف عنوان لا عمق فيه وهو المولع بالأمكنة في أعماله، وقد عمد إلى تصوير الرقاق تصويرا دقيقا يتسم بالبراعة في نقل تفاصيله فكأنّه ينحت من هذا الطريق الضيق عالما بأسره، وينتقل من مخاطبة الفرد المصري إلى حوار مع العالم، فالزقاق هو بطل الرواية كما أن الراوي يرتبط روحيا به، غير أنّ مرتاض يتدارك الأمر في تحليله حين ينفذ إلى بنية العنوان العميقة الثرة بالدلالة بأدنى تأويل، حيث يرى "تشكل هذا العنوان الفني من مفردتين (زقاق، المدق) جاء ليختزل بهما الراوي الكثير من المشاهد التي جرت وقائعها في حي مصري ضيق<sup>2</sup> وما هذا الضيق في الزقاق إلا معاناة وألم وفقر وأمراض اجتماعية وصراع طبقي يعاني منه الفرد المصري بصفة خاصة والعالم بصفة عامة، فالراوي قد ضحّ في هذه العتبة كمونات دلالية يعكس بها رؤيته للمجتمع المصري، ثمّ إنّ هذا العنوان يحمل رمزية تاريخية على علاقة بالحرب العالمية الثانية وما بعدها إذ "يعكس ما يشكّل مدينة القاهرة كلّها، من حيث تعكس القاهرة مصر كلّها، ومن حيث تعكس مصر، من حيث هي قيمة تاريخية وحضارية وجغرافية وبشرية، في ذلك العهد الذي يخفي هو أيضا، وراءه: حربا كونية مدمرة لا

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 276.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 278.

تبقى ولا تذر"<sup>1</sup> وهو ما يعكس أصنافا من المعاناة والضيق في الحياة، فالزقاق قد تفانى الراوي في هندسته ليكون البطل ثمّ يميلنا إلى أبعد من كونه حيا ضيقا في ضواحي القاهرة.

إنّ العنوان ( زقاق المدق ) مكون أساسي لاستنطاق نصه وهو ما يجعل القارئ لهذه العتبة في سعي حثيث لاستقراء معانيها ومحاولة ربط علاقة بينها وبين عوالم النص، فاختيار نجيب محفوظ لهذا المكان لم يكن اعتباطيا بل لأنه "يجنح نحو شعبية الأمكنة حيث يقول هنا في هذا النص: زقاق، ولا يقول مثلا: شارع أو نهج؛ ويقول في موطن آخر: حارتنا، ولا يقول حيننا لأنّ مثل هذه الأمكنة هي التي كان يتخذ منها مجالا لمختبره السردي حيث كان يعايش أبسط الشخصيات درجة اجتماعية ويبنى عليها اشكاليته الروائية"<sup>2</sup> ذلك أنّ قراءة هذه الحواشي النصية تساهم في رسم الفضاءات الدلالية للنص وحدوده وهذا ما نلمسه من خلال هذه الإطلالة السيميائية التي تحيط بهذا العنوان والذي يبدو حسب مرتاض "مثبت قبل نص الرواية إلا أنّه في الحقيقة كتب بعد إنجاز كتابة النص إذ من العسير أن يختار روائي عنوان روايته قبل كتابتها نهائيا"<sup>3</sup> رغم عدم جزمه بهذا الأمر، ولا يجد الناقد حرجا في الأخذ من قراءات أخرى لهذا العنوان حيث استند على تحليل طه حسين في عدّة مواضع ليضيف عليها تأويله الخاص للوصول إلى قراءة واعية متقنة.

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 246

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 277.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 277.

2- العنوان وعوالم النص:

إنّ المقاربة السيميائية لرواية زقاق المدق من طرف مرتاض قد كشفت عن غواية سردية يمارسها العنوان من خلال تشظي حملاته الدلالية في عوالم النص، كون زقاق المدق أكثر الأمكنة حضورا في النص؛ حيث يحصي مرتاض ذكر العنوان مائة واثنين وتسعين مرة في المتن، ويرى أنّه لم يكن مقصودا لذاته، بل كان يمثل مصر كلها، فالسارد قد اختار أصغر وحدة ممكنة في المدينة، ذلك الشارع الصغير العتيق، ثم تلاه وصف دقيق للمكان ونحت بارع لمجموعة من الشخصيات القاطنة به وبلورة نفسياتها، وما هذه الشخصيات إلا صدى لكل النماذج البشرية الخيرة والشريرة، الغنية والفقيرة، المتعلمة والساذجة، الوفية والغادرة، فتحول هذا الزقاق الضيق إلى فضاء رحيب يتسع لكل هذه الصراعات، وصوره على أنّه مكان متقادم متآكل، مظلم، رطب، قدر، ونهضت سيميائية القدارة في النص بدور الدلالة على الفقر والتخلف والانحطاط<sup>1</sup>.

سعى مرتاض من خلال تحليله لهذا المتن الروائي إلى استجلاء مكانة العنوان في النص من خلال الكشف عن شبكة العلاقات التي يربطها هذا العنوان مع عوالم الرواية، حيث يُبرز الناقد الروابط الوظيفية للشخصيات الأساسية في الرواية وكيفية ارتباطها الوجداني مع الزقاق سلبا وإيجابا، كون هذا المكان يحمل هذه الشخصيات التي تؤدي وظائفها فيه فيتلون تبعاً لنفسياتهم وأهوائهم ذلك أنّ اختلاف المنظور إلى المكان بالحب والكره يخضع للتراكيب النفسية والأخلاقية والدينية والظرفية التي

<sup>1</sup> ينظر: عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 247.

بنيت عليها الشخصية<sup>1</sup> وهو ما جعل الناقد يستقرئ في مقارنته ظهور هذا الزقاق بطيف من الألوان ويرصد مواطن التقائه مع الشخصيات أثناء تحليله للمكان في هذه الرواية والذي يحمل الحب والكره في آنٍ واحدٍ حسب منظور كل شخصية، فبرز الشخصية الأهم حميدة ومعها شخصية حسين وقد كرهتا هذا المكان لأنّ "هذا الزقاق لا يعدو أن يكون مكانا قدرا، مظلما، رطبا، متخلفا أهله في رأي هاتين الشخصيتين مضافا إليهما فرج إبراهيم الذي قال لحميدة .. من الكفر أن يعيش جسم حي نضير في مقبرة مليئة بالعظام النخرة"<sup>2</sup> فلكل شخصية سببها الوجيه في مقت الزقاق وكلّ هذه الأسباب تتناغم وإيجاءات العنوان الأولى المثقلة بالمعاني الدالة على المعاناة والقهر، فتنتقل هذه الحملات الدلالية من الحواشي إلى عوالم المتن وتمفصلاته لتفرغ فيه أنواعا شتى من الألم، ثمّ يأتي تأويل الناقد لموقف هذه الشخصيات بأنّها "تتضرم امتعاضا على ما آل إليه أمرها معه؛ فتتطلع إلى تضريم النار فيه لكي تتخلص من سلطانه نهائيا (ولكنّه حدث لم يتم) مما يجعل هذه اللقطة تنضوي من باب التمويه الحدّثي"<sup>3</sup> فكأنّ المكان يحيل إلى واقع معاناتهم وسلطانه يتحكم في عيشة الأسى التي تحيط بهذه الشخصيات، فجاء الزقاق بحق رمزا لمعاناتهم، وهو ما جسّد التوافق الواقعي بين العنوان وعوالم النص المشكّلة لهذه الرواية، وهو ما بلور عمقا للعنوان وشكّل له غواية سردية تحيل إلى تاريخ مصر السابق وواقعها الذي يتجدّد مرارا وتكرارا من الماضي إلى الحاضر والمستقبل ومعه يتجدد النزوع إلى قراءة هذا النص المرتبط بالزقاق المصري.

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 251.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 251.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 253.

ومن خلال العلاقات التي يربطها العنوان مع مكونات هذا المتن سعى الناقد إلى استجلاء دلالات هذه العلاقات، فيرصد موقفاً آخر مولعاً بالزقاق وفيماً له غير آبهٍ للسواد في جنباته، قائلاً: "نلني ثلاثة شخصيات على الأقل تبدي حبّها للزقاق ما وجدت فيه؛ فإذا غابت عنه حنّت إليه مثل شخصية عباس الذي ظل وفيماً للمكان الذي قضى فيه زهاء ربع قرن"<sup>1</sup>، فالمصري مهما غاب عن وطنه فإنّه يحنّ إليه دوماً، فالناقد يعاين مختلف التناقضات التي يحملها الزقاق والتي تحيل إلى واقع مصر الذي يعج بدوره بكل هذه التناقضات، وهو ما يستقرئه مرتاض من خلال التعالق النصي بين العنوان ومختلف المكونات السردية من أجل الإحاطة بهذه العتبة الثرة المتلاحمة مع متنها ولأنّ مقارنة العنوان لا تكتمل إلا بالولوج إلى عوالم النص وسبر أغوارها.

### 3- تعالق العنوان مع الألوان في رواية زقاق المدق:

يعدّ اللون من أهم السمات السيميائية الرائجة في فضاء الأدب وقد وظفها الكُتّاب لمدلولات متعددة كالأسود الموحى على الأحران والأبيض الموحى على الأفراح، الأمر الذي جعل الدارسين في حقل السيميائية يرصدون مواطن ظهورها في الأعمال الأدبية قصد تحليل ما فيها من معان ذلك "أنّ الطقوس العارضة من الألوان نشأت مع الإنسان منذ بدء وعيه الأول بتمييز الألوان، ثم توظيفها لغايات مختلفة، وظلّ الوعي بقيمة الألوان ووظائفها يتطور بتطور مقدار تدرج هذا الإنسان في سلم المدنية"<sup>2</sup> وهو ما استمال مرتاض إلى تفسير عالم اللون في رواية زقاق المدق وكيف يتعالق مع العنوان الزقاق، ما جعل الناقد يرصد الألوان ويسعى إلى تأويلها إيماناً منه بأنّ نجيب محفوظ قد عمد إلى

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردية، ص 254.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، مفاتيح لغرفة واحدة (معالجة مجهرية تداولية معرفية)، دار القدس العربي، ماي 2018، ص 235.

توظيفها سيميائيا في تفصلات المتن والإمساك بها وبكموناتها الدلالية يساهم في الإحاطة بعالم الزقاق.

ورغم حضور عديد الألوان في الرواية إلا أنّ الناقد قسّمها إلى لونين رئيسيين الأسود وما يقاربه كالظلام، والأبيض وما يقاربه كالنوراني، وفي إحصائه لعدد مرات ظهور السواد والظلام يجد أنّها تكررت ستين مرة حيث يرى " من خلال هذه الأرقام أنّ النص الذي ندرسه لم يكن بريئا إزاء اصطناع هذه الألوان؛ بل كان يوظفها توظيفا دلاليا يستخرج أعمق الخلدجات وأغور اللّججات فيجسدها بارزة بل مرسومة، ملتصقة بالشخصية، متبجسة من عواطفها المتضمرة بما فيها من حب وبغض وما ينشأ عنها من صراع وكبت وعقد"<sup>1</sup> وبذلك فإنّ صورة السواد في المخيال العربي وما تحمله من دلالات الحزن لم تأت بمعزل عن عالم الزقاق الضيق فهذا العنوان قد تعالق نصيا معها واتّحدا لرسم صورة قائمة حول الزقاق وتكوين عالم المعاناة والتشاؤم السائد في جوانب مصر، فالسواد والظلمة لغة ثانية ثرة بالدلالات ولهذا وظفها الكاتب في الرواية "بقصد التهجين أو الدّم، أو التشاؤم، أو الهجو، أو الغضب، أو للشيء غير المشروع عامة، أو للدلالة على حال الحزن الملمّم"<sup>2</sup> بأهل الزقاق، فاختيار هذا العنوان لم يكن اعتباطيا بل عن قصد فجاءت البنيات السردية لهذا النص الروائي مترابطة ومتحددة مع العنوان.

يلعب اللون الأبيض دورا مهما في الفضاء السردى الزقاقى حيث يغوص بالعين إلى دلالات نفسية منفتحة لا حدود لها متجاوزا الإدراك الحسى البصرى، ولهذا فالكاتب نجيب محفوظ "اتّخذ اللون

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 298.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 298.

وظيفة تكنولوجية حين حلّ محلّ اللغة ومحلّ الكتابة<sup>1</sup> لإيصال رسائل متنوعة ثابتة في رمزيته السيميائية وهو ما أثار فكر مرتاض لتأويله والغوص فيه حيث يرى أن اللون "الأبيض - وفروعه - يجسد التفاؤل والخير والمدح والمشروعية وكل الأشياء الميمونة والمباركة فالنور في هذه التشكيلة اللونية يتكرر أكثر من أي لون آخر فكأننا بمجرد رؤيتنا نورا متألقا على وجه من الوجوه ندرك أنّ صاحبه سعيد راض مرتاح"<sup>2</sup> فهذا الطغيان للأبيض على حساب السواد ما هو إلا انعكاس للواقع المعيش على أرض الزقاق.

إنّ الناقد بفضل كفاءته النقدية يفعل قراءته لكل الرموز السيميائية الموجودة في هذه النص ويربط علاقاتها مع العنوان وطريقة تفاعلها معه فالبياض يتميز - حسب الباحث - "بقابليته لوصف الداخل والخارج؛ فهو قابل، بيسر، لوصف النفس والوجه، كما هو قابل لوصف الحيز المادي الخارجي"<sup>3</sup> ذلك أن البياض في النفس والوجه له قصديته المتمثلة في إظهار الرضا والسعادة من طرف شخصيات الزقاق والتي تتأثر بمحيطها إيجابا رغم البؤس، فالتفاؤل مشروع لتستمر الحياة في الزقاق وهو ما أرغم الراوي على نثر الألوان النورانية المرتبطة بالبياض في متنه وهو ما استشرف منه الناقد أنّ "اللون الأبيض هنا أصبح علما للثراء والتحضر، والتهذب، والرقى، والخير"<sup>4</sup> رغم شظف العيش المعبر عنه بالسواد فهذا التضاد ما هو إلا تكامل في النص فلولا السواد لما برز البياض ولولا ضيق العيش في الزقاق لما طُلب التفاؤل من أجل غد مصر المشرق، فهذا الرصد الدقيق من الناقد لكل هذه الرموز

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 298.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 300.

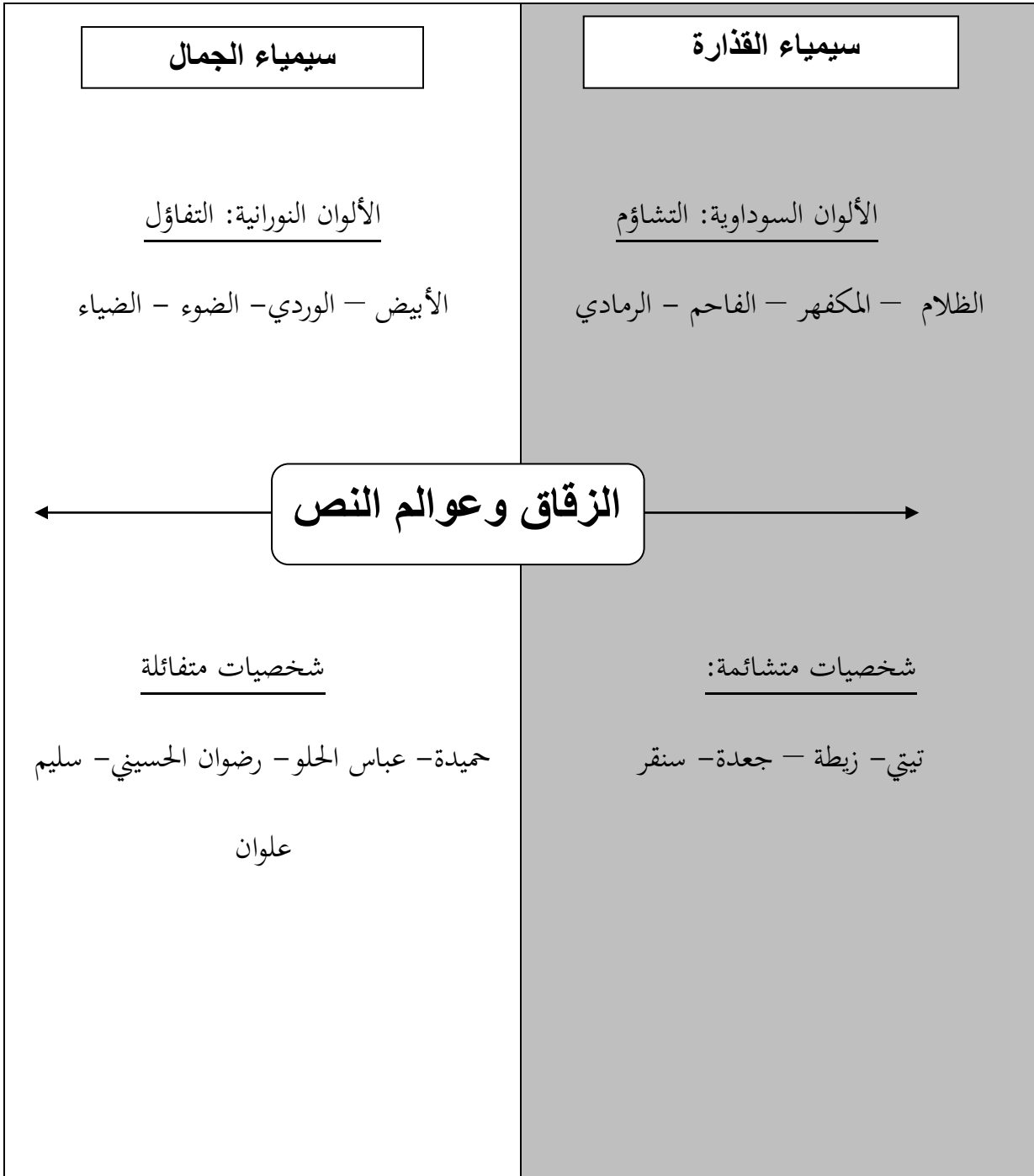
<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 301.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 300.

السيميائية واستكشاف جسورها الدلالية مع العنوان ما هو إلا براعة نقدية من الباحث تتم عن وعي عميق بأن عوالم النص تتكامل دلالاتها مع العنوان فتصبح جسدا واحدا كل عضو فيه يكمل الآخر.

بعد هذه القراءة التحليلية سنحاول وضع مخطط يوجز تعالق العنوان مع مكونات رواية زقاق المدق

على النحو الآتي:



ونافلة القول، إنّ ما نستقيه من نتائج بعد تفحصنا لمشروع مرتاض السيميائي ومقارنته لرواية زقاق المدق عدّة نقاط ميزت تجربة مرتاض النقدية سواء في لغته المفاهيمية النظرية أم ممارسته التطبيقية المتميزة، نوجزها فيما يلي:

- ينادي الناقد بضرورة التمسك بالتراث أثناء انفتاحنا على النظريات النقدية الغربية.
- الناقد من دعاة التركيب المنهجي وهو ما جسده في هذه المقاربة.
- دائما ما يميل الناقد مرتاض إلى المزاوجة بين التنظير والتطبيق في جل أبحاثه وهو ما تؤكده دراسته التحليلية لرواية زقاق المدق.
- اعتمد الناقد القراءة المعجمية ثم التأويل في الإحاطة بالمكونات السردية وتحليلها ويظهر ذلك جليا في تحليله السيميائي للعنوان.
- الاستعانة بالإحصاء أثناء مقارنته للعنوان وباقي مكونات الرواية حتى تتسم هذه المقاربة بالدقة ويتجاوز بذلك الانطباعية القديمة.
- اعتمد الناقد في قراءته السيميائية للعنوان على التعالق النصي له مع المتن وعوامله المختلفة من أجل الوصول إلى تأويل واعٍ يحيط بكوامن هذه العتبة إحاطة حقيقة.

## ملحق الفصل:

# السيرة العلمية للباحث

ملحق الفصل: السيرة العلمية للباحث عبد المالك مرتاض

عبد المالك مرتاض من أب وأم جزائريين مسلمين؛ الأب عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب بن محمد بن أبي طالب، والأم زينب بنت أحمد بن عمرو سوالي، ابن بلدية مسيرة الواقعة في ولاية تلمسان من مواليد العاشر جانفي 1935م، ترعرع على يد أبيه الذي ساعده في حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ النحو والفقہ بكتاب قرية الحُماس القريبة من الحدود المغربية.

- بعد أن اشتد ساعده وفي أكتوبر من عام 1954 وجّه قبلته إلى مدينة الجسور المعلقة قسنطينة لالتحاق بمعهد ابن باديس الذي سرعان ما أغلق أبوابه بسبب اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية.

- حرصا منه على اتمام دراسته توجه سنة 1955 إلى مدينة فاس المغربية أين التحق بجامعة القرويين.

- في عام 1960 التحق بكلية الآداب التابعة لجامعة الرباط بالمغرب بعد أن نال شهادة البكالوريا من نفس العام بمدينة تطوان.

- 1961 التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط.

- في عام 1983 نال شهادة الدكتوراه عن جامعة السوربون وبإشراف من أستاذه أندري ميكائيل (أطروحة بعنوان أجناس النثر الأدبي بالجزائر)، وقد نال قبلها شهادة الدكتوراه عن جامعة الجزائر في عام 1970 حيث عنون أطروحته فن المقامات في الأدب الجزائري.

- تم ترقيته إلى درجة الأستاذية (بروفيسور) في سنة 1983.

شيوخه وأساتذته:

- أولهم والده الفقيه: الشيخ الحاج عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب.
- الأستاذ الأديب أحمد بن ذياب الجزائري.
- الدكتور نجيب مُحمَّد البهيتي من مصر
- الأستاذ العلامة مُحمَّد الفاسي من المغرب.
- الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر.
- الدكتور إحسان النص من سوريا والذي درسه بجامعة الجزائر.
- الأستاذ أندري ميكائيل من فرنسا.

نشاطاته الثقافية ومناصبه العلمية:

- يعد عضوا نشطا في المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني (1956-1962).
- تم تعيينه مدرسا للغة العربية في إحدى المدارس الابتدائية بمدينة أخفير المغربية سنة 1956، ثم انتقل إلى الجزائر أين اشتغل أستاذا في التعليم الثانوي بمدينة وهران (ثانوية ابن باديس).
- عمل مستشارا تربويا للمدارس الابتدائية بمدينة وهران سنة 1963.
- عُيِّن مديرا لمعهد اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران سنة 1974، ثمّ أصبح نائبا لمدير الجامعة بين عامي 1980 و 1983.

- عين رئيسا للمجلس العلمي بمعهد اللغة العربية في جامعة وهران بين سنتي 1986 و1998.
- أسس مجلة اللغة العربية بالمجلس الأعلى للغة العربية التابع لرئاسة الجمهورية، المؤسسة التي عمل بها (1998، 2001)
- والباحث له اسهامات غزيرة في الندوات الوطنية والمؤتمرات الدولية حتى سُجِّل اسمه في موسوعة لاروس بباريس ضمن النقاد، كما أضحى أعماله ملجأ للدارسين الجزائريين والعرب.
- توفي عبد المالك مرتاض بعد معاناة طويلة مع المرض يوم الجمعة 19 ربيع الآخر 1445هـ الموافق لـ 03 نوفمبر 2023.

# الفصل الثاني: الشخصية في الخطاب

## السيمائي الجزائري

- توطئة:

- أولا: مفهوم الشخصية في النقد الغربي .

- ثانيا: الشخصية في النقد الجزائري المعاصر.

- ثالثا: قراءة في المنجز السيميائي عند رشيد بن مالك.

1- البعد التأصيلي في كتاب "مقدمة في السيميائيات السردية"

2- واقع المصطلح السيميائي من خلال كتاب مقدمة في السيميائيات السردية

- رابعا: الممارسة التطبيقية في الخطاب السيميائي عند رشيد بن مالك

1- قراءة في التحليل السيميائي لشخصيات رواية نوار اللوز.

2- تصنيف الشخصيات في رواية نوار اللوز.

3- آليات تحليل أسماء شخصيات رواية نوار اللوز.

- ملحق الفصل: السيرة العلمية للباحث.

توطئة:

الشخصية (personnage) مكونٌ هامٌ في الخطاب السردي وفَعَّالٌ في إدارة أحداثه، ذلك أنه يتجاوز في حضوره السردي صفة الذات لتصبح سمة ثرة معقدة تروم التحليل والتأويل، فتستميل إليها الدارسين السيميائيين، خاصة وأنها تتعالق مع جلّ الأحداث السردية التي ينسجها السارد في عمله الروائي، فالقبض على ما في هذا الرمز من دلالة يمثل خطوة مهمة لتأويل المتن الروائي وهو ما جعل هذا العنصر السردي في حُظوة من اهتمام النقاد والعاملين ضمن المجال السيميائي في الغرب، ولحقهم في هذا الاتجاه الباحثون العرب المحدثون سعياً منهم لمواكبة التطور النقدي العالمي من خلال الاطلاع على النظريات النقدية الغربية وكيفية تعاملها مع النصوص السردية قصد نقلها إلى البيئة العربية ومدارسة الخطاب السردي العربي ومكوناته، فتعددت الدراسات التي قاربت الشخصية من منطلق بنيوي وسيميائي، نذكر منها مزيجاً من رواد النقد الغربيين ومن تبعهم من النقاد الجزائريين:

- فلادمير بروب: مورفولوجيا الحكاية.
- فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية ترجمة بنكراد.
- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي دراسة سيميائية تفكيكية لرواية زقاق المدق.
- رشيد بن مالك: السيميائيات السردية.
- حسين خمري: فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)
- السعيد بوطاجين: الاشتغال العملي (دراسة سيميائية في رواية غدا يوم جديد) ابن هدوقة.

والملاحظ في الدراسات السيميائية للشخصية في المدونة الجزائرية يجد أنها قد تنوعت بين تنظير لها، ومقاربات تطبيقية حولها، وتقديم ترجمة لما قام به رواد هذه النظرية خاصة ما استُقى من المدرسة الفرنسية، ويُظهر هذا التنوع مدى وعي النقاد الجزائريين بأهمية دراسة هذا المكون ضمن الخطاب السردي العربي، الأمر الذي يسهم في التأسيس لخطاب سيميائي جزائري متفرد.

### أولاً: مفهوم الشخصية في النقد الغربي

احتفى رواد النظريات النقدية الغربية -بدءاً بالشكلانيين- بعنصر الشخصية احتفاءً بالغاً، ذلك لمكانته الهامة في الخطاب السردى ولأنّ هذا العنصر دائم التفاعل مع مكونات الخطاب الروائي، بالإضافة إلى أنه يصنع حركيته ضمن المشهد الذي يرسمه الراوي، ثم إنّ جل الأحداث داخل الرواية تحيل إلى هذا العنصر الرئيس، ذلك بفضل الوظائف التي تُوكل إلى مختلف الشخصيات الرئيسية منها والثانوية، وهذا الاحتفاء بدأ في الظهور مع "القرن التاسع عشر عندما احتلت الشخصية مكاناً بارزاً في الفن الروائي أصبح لها وجودها المستقل عن الحدث، بل أصبحت الأحداث نفسها مبنية أساساً لإمدادنا بمزيد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات جديدة"<sup>1</sup> وهو ما يوضح لنا كيف انتقلت الشخصية من هامش هذا الفن إلى مركزه خلال هذا القرن، ومع هذا الانتقال زاد الاهتمام من الروائيين وكثرت دراسات النقاد والباحثين حوله تنظيراً وتطبيقاً وممارسة.

<sup>1</sup> أدوين موير، بناء الرواية، تر إبراهيم الصيرفي، م د. عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ت، ص 19.

إنّ المتتبع لمسار تطور لفظة "شخصية" يجد أنّ أصلها يعود إلى مصطلح ( PERSONA ) اللاتيني الدال على القناع والذي يستخدمه الممثل "حين يقوم بتمثيل دور، وكان يريد الظهور بمظهر معين أمام الناس .. وبهذا تكون الشخصية ما يظهر عليه الشخص في الوظائف المختلفة التي تقوم بها على مسرح الحياة"<sup>1</sup> فالشخصية بهذا المفهوم ما هي إلا انعكاس لما يعيشه الإنسان من صور متعددة وأقنعة مختلفة وأنماط عيشٍ متنوعة، وما هذه المكانة الهامة للشخصية في العمل الروائي إلاّ تعبير عن مكانة الإنسان الحقيقية التي تبوأها في المجتمع الغربي في القرن التاسع عشر، ولهذا انصبت الكثير من الدراسات الغربية حولها "الشخصية الروائية تستمد أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع الذي تعيش فيه، وتكون عادة ذات طابع مميز عن الأنماط البشرية التقليدية التي نراها في حياتنا اليومية"<sup>2</sup> وبهذا تنتقل الشخصية من مدلولها الواقعي المادي إلى مدلولها السردى المعنوي والذي ينسجه الروائي بقلمه مجسداً به فيض إبداعه وخياله.

يعدّ الباحث الكبير فلاديمير بروب ( Vladimir Propp ) من الأوائل الذين أجروا دراسات جادة حول عنصر الشخصية حين عالج هذا العنصر في بحثه الموسوم ب: "مورفولوجيا الحكاية" حيث ركّز على وظائف الشخصية داخل النص السردى وأهمل الجوانب النفسية لها، وقد استنتج من خلال تحليله الوظائف أنّ الشخصية تتجسد في سبعة أدوار هي: الشرير، البطل، المانح المساعد، الأميرة، المرسل، والبطل المزيف، فهذا المنظور الشكلاي يرى " أنّ شخصية الرواية لا تتحدّد في الغالب،

<sup>1</sup> سعيد رياض، الشخصية ( أنواعها أمراضها وفن التعامل معها )، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، دس، ص 11.

<sup>2</sup> عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 1982، ص 121.

بالعلامة التي تعلم بها، ولكن بالوظيفة التي توكل إليها<sup>1</sup> ثم إنّ بروب يعرف الوظيفة بأنها " فعل الشخصية المحدد من حيث دلالاته في تطور الحكمة"<sup>2</sup> الروائية، دون أن يهتم بأوصاف الشخصيات أو مميزاتها فالأهم عنده أدوارها المختلفة ضمن السرد، ويعد هذا الطرح لبنة أولى أسست انطلاقة قوية في اتجاه تحديد مفهوم الشخصية ضمن الخطاب السردي.

أما من منظور لساني ووفق التحليل السيميائي فمفهوم الشخصية عند تودوروف ( Todorov Tzetan ) لا يعدو كونها كائنات ورقية لا وجود لها في الواقع، إذ يقول: " إنّ قضية الشخصية هي قبل كل شيء قضية لسانية، فالشخصيات لا وجود لها خارج الكلمات لأنها ليست سوى كائنات من ورق ومع ذلك فإنّ رفض وجود أية علاقة بين الشخصية والشخص يصبح أمرا لا معنى له: وذلك أنّ الشخصيات تمثل الأشخاص فعلا ولكن ذلك يتم طبقاً لصياغات خاصة بالتخييل"<sup>3</sup> الذي يرسمه المبدع في نصه الروائي، معارضا بذلك من يربطون الشخصية الروائية الخيالية بالواقع وشخصياته الحقيقية، وينحو نفس المنحى الناقد رولان بارت ( Roland.Barthes ) حيث يعرف " الشخصية بأنها نتاج عمل تألّيفي كان يقصد أنّ هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم علم بتكرار ظهوره في الحكيم"<sup>4</sup> فهي بذلك بنيات لغوية

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 87.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية، ص 31.

<sup>3</sup> TODOROV TZVETAN : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE DES SCIENCES DU LANGAGE. PARIS. ED LE SEUIL. 1972. P286. عن: حميد حميداني،

بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، ص 51.

<sup>4</sup> حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، 50.

## الفصل الثاني: سيمياء الشخصية في الخطاب النقدي الجزائري

مشاهدة لباقي العناصر السردية المبنوثة في الخطاب السردى والى تحقق غاية السرد من طرف الراوى، والتعامل معها يكون انطلاقا من كونها معطى لسانى لغوى بحت.

من النقاد البارزين الذين ساهموا في تطوير السيميائيات السردية نجد رائد المدرسة الفرنسية أليرداس جوليان غريماس (Algirdas Julien Greimas) والذي استثمر في أطروحات فلادمير بروب، ومن أهم القضايا التي ثمنها غريماس قضية الشخصيات ووظائفها السبع في الخطاب السردى، حيث عمد إلى تقليصها مستنتجا ست شخصيات هي: المرسل، الموضوع، المرسل إليه (المتلقى)، المساعد الفاعل (الذات)، المعارض (المعكس)، وقد قسمها إلى ثلاث علاقات/محاور:

الذات	<u>العلاقة الأولى:</u>
الموضوع	محور الرغبة
المرسل	<u>العلاقة الثانية:</u>
المرسل إليه	محور التواصل
المساعد	<u>العلاقة الثالثة:</u>
المعارض	محور الصراع

ومن خلال هذه العلاقات الثنائية المجسدة للنموذج العملي الغريماسي يبرز مفهوم الشخصية عنده، فقد "قدّم في الواقع فهما جديدا للشخصية في الحكي، هو ما يمكن تسميته بالشخصية المجردة، وهي قريبة من مدلول "الشخصية المعنوية" في عالم الاقتصاد. فليس من الضروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد؛ ذلك أنّ العامل في تصور غريماس يمكن أن ممثلاً بممثّلين متعددين، كما أنّه ليس من الضروري أن يكون العامل شخصاً مُمثلاً، فقد يكون مجرد فكرة"<sup>1</sup>، وهو بذلك يتجاوز السطحية التي تعامل بها بروب مع الشخصية، ذلك أنّ مفهومه أشمل إذ هو يميز بين مستوى عاملي (العامل ACTANT) ومستوى تمثيلي (الممثل ACTEUR) في السرد، كما اعتمد مسارا توليديا في مقارنته للشخصية من خلال بنيتين سطحية وعميقة يحكمهما عنصران: دلالي وتركيبى<sup>2</sup> لتتسم هذه المقاربة في نهايتها بالشمولية.

ومن الأطروحات التي أحاطت بمفهوم الشخصية ووظائفها في الخطاب السردى ما جاء به فيليب هامون ( PHILIPPE HAMON ) في بحثه الموسوم بـ: "سيمولوجيا الشخصيات الروائية" الذي يعد من أهم النظريات الحديثة في هذا المجال، وقد وظّف أطروحات سابقه وبالأخص غريماس في تحديد مفهوم الشخصية بدقة حيث يرى أنّه " يمكن تحديد الشخصية بأنها مورفيم\* فارغ، أي بياض دلالي لا تحيل إلا على نفسها، إنّها ليست معطى قبليا كليا، فهي تحتاج إلى بناء، بناء تقوم

<sup>1</sup> حميد حميداني، بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1991، ص 52.

<sup>2</sup> ينظر: حسين أوعسري، سيميائية الشخصيات الروائية، مجلة عود الندى، المغرب، العدد 94: 4/2014.

\* تعريف المورفيمات : هي تلك العناصر الأصغر وغير القابلة للتجزئة من وجهة نظر نحوية مثل الجذور والواحق البسيطة ( أي أنّ المورفيم يتألف من شكل ومعنى، أو من دال ومدلول)، رومان جاكسون، محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة (حسن ناظم، علي حاكم صالح) ، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994، ص103.

بإنجازه الذات المستهلكة للنص زمن فعل القراءة، هذا المورفيم الفارغ يظهر من خلال دال لا متواصل ويحيل على مدلول لا متواصل<sup>1</sup> فهو بذلك ينطلق من الدرس اللساني في طرحه حيث يرى أن الشخصية ما هي إلا علامة لسانية (SIGNE) تتشكل دلالتها حين الانتهاء من كتابة النص، فيتم تفعيل هذه العلامات وملؤها عن طريق التأويل الذي يقوم به المتلقي القارئ الذي يعطيها معانٍ مختلفة أثناء استهلاكه النص، وبما أنّ الشخصية علامة لسانية فالإحاطة بها لا تتم إلا من خلال تجاوزها مع عناصر أخرى فعالة تُسهم في ملئها وبنائها ذلك أنّها " علامة فارغة، أي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد"<sup>2</sup> لأنّ الشخصية غير جاهزة لذلك سلفاً بل تنتظر قارئاً واعياً وأثراً سياقياً لكي تتشكل فاعليتها في المتن الروائي، ووفق هذه الفاعلية قسّم هامون الشخصيات إلى ثلاثة أنواع: شخصيات مرجعية، شخصيات إشارية، وشخصيات استذكارية.

نخلص بعد هذا الإيجاز إلى تنوعٍ وثراءٍ في الأطروحات الغربية حيث سعى النقاد الغربيون إلى تحديد مفهوم دقيق للشخصية والإحاطة بوظائفها المختلفة وأنواعها داخل الخطاب السردى، مما أسهم في نقلها من هامش السرد إلى مركزه، لتصبح "الشخصية" بعد ذلك علامة سيميائية هامة ضمن جهاز التحليل السيميائي، ومقارنته بوعي يساعد في الإحاطة بالمتن الروائي، وهو ما كان ديدن غريمانس وهامون وغيرهم.

<sup>1</sup> فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، 1990، ص 09.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 07.

ثانيا: الشخصية في النقد الجزائري المعاصر

شهدت المدونة السيميائية الجزائرية حركة كبيرة على المستويين النظري والتطبيقي في مجال السرد، تأثرا بالمد النقدي الغربي الذي صدر لنا السيميائيات السردية التي انبثقت عن مدرسة باريس وأقطابها، فقد سعى ثلة من النقاد الجزائريين إلى خلق خطاب نقدي يحاكي أطروحات المدرسة الفرنسية، يبرز في مقدمة هؤلاء النقاد عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك، عبد الحميد بورايو، سعيد بوطاجين وغيرهم، ورغم صعوبة البدايات لدى هؤلاء النقاد إلى أنه ومع مرور الزمن تشكل لهم تراكم بحثي معرفي في مجال السيميائية السردية، ولعل أهم اعتراف نستند إليه ما جاء به رائد المنهج السيميائي في الجزائر الناقد الراحل عبد المالك مرتاض، إذ يقول: "لقد ظللنا أكثر من عشرين عاما نطرح أسئلة حائرة من هذا النوع؛ وكلما طرحنا سؤالا منهجيا أو معرفيا أو إجرائيا، أو جماليا، أو تقنيا ... حاولنا أن نظفر بالإجابة عنه في قراءة المظان المختصة، وهي في جمهورها أجنبية، وبدأنا نجتمع طوامير نسجل فيها ملاحظات، والآراء حول الإشكاليات التي نقرأ عنها"<sup>1</sup> ذلك أنّ هذا التأخر في مقارنة السرد والإمام بفنونه وتقنياته راجع بالأساس إلى المنطلقات الغربية لهؤلاء النقاد، لكن الفضول عندهم بالإضافة إلى الاحتكاك برواد المدرسة البارسية ساهم في تطور الخطاب السيميائي الجزائري تدريجيا، تجلّى ذلك من خلال تعدد الدراسات السيميائية حول الإبداع الروائي والوقوف على مكوناته (الشخصيات، الزمان، المكان ..) وعوامله العجيبة.

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ( بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998، ص 07.

ومن أجل الوقوف على إسهامات النقاد الجزائريين في إرساء الخطاب السيميائي، سنحاول تتبع أهم دراساتهم حول الرواية ومقارباتهم المتنوعة على بنيتها السردية الأهم والمتمثلة في الشخصية، كما نتطرق إلى أهم تصوراتهم لهذا المكون السردى وكيف حدّدوا مفهومه، ويأتي في طليعة هؤلاء النقاد الباحث عبد المالك مرتاض الذي يُعد باحثاً متميزاً في هذا المجال حيث عالج موضوع الشخصيات تنظيراً وتطبيقاً من منظور سيميائي، ووقف على دوره المحوري في العمل السردى، وبرز ذلك في دراسته الموسومة ب: تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، فبرى الباحث "أنّ الشخصية ربّما تكون هي كلّ شيء في أي عمل سردى؛ ولا سيما إذا كان ذا بنية سردية كلاسيكية مثل نص زقاق المدق حيث تضطلع بالوظيفة الكلية فلا تكون العناصر الأخيرة إلا مظهرة لها"<sup>1</sup> وهو ما جعله يشغل عليها من خلال الوقوف على دلالتها السيميائية، وبنائها المورفولوجي، وبنائها الداخلي، ووظائفها السردية.

وللوصول إلى مفهوم الشخصية يستفهم الناقد عن ماهية الشخصية (ما الشخصية؟) بغية التفريق بين الشخص (الإنسان) والشخصية في العمل الروائي، فالشخصية لديه "كائن حركي حيّ ينهض في العمل السردى بوظيفة الشخص دون أن يكونه"<sup>2</sup> فالوظيفة هي ما تجعله العنصر الأهم في العمل الروائي وهو ما يتوافق مع نظرة فلاديمير بروب، غير أنّ هذه المكانة للشخصية بدأ يأفل نجمها مع ظهور الرواية الجديدة، "إن ذلك العصر المتوهج لم يعد قائماً؛ ذلك أنّ الروائيين الجدد حملوا

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص 127.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 126.

معاولهم وبدأوا يهدمون الصروح الجميلة التي كانت الشخصية الروائية تتربع فيها<sup>1</sup> حيث أصبح هذا المكون السردي عنصرا ورقيا تخيليا مشابها لباقي المكونات في الرواية الجديدة، وقد انتقل هذا التوهج إلى اللغة التي تطورت بشكل كبير في الخطاب السردي؛ "فالرواية الجديدة ظلّت محتفظة بشيء واحد، بل منحتة كلّ أهمية وعناية، وهو اللغة التي اتخذت منها المشكل الأول لكل عمل سردي<sup>2</sup>" ومن خلال هذا المنظور اتّجهت الأبحاث السيميائية إلى اللغة ومكوناتها، ومن ضمنها الشخصية التي تعد علامة سيميائية تتشكل دلالتها ضمن نسق من العلامات الأخرى.

ومن الباحثين الذين حاولوا استجلاء مفهوم الشخصية انطلاقا من أطروحات النظرية السيميائية الفرنسية نلفي الناقد السعيد بوطاجين، وذلك أثناء سعيه الحثيث لإرساء الدرس السيميائي في البيئة العربية، وقد حاول دراسة الشخصية في الخطاب السردي والتي تقاطعها مع العامل والوظيفة والممثل انطلاقا من بحثه الموسوم ب: الاشتغال العملي دراسة سيميائية (غدا يوم جديد لابن هدوقة عينة) حيث يرصد التحول في مكانة الشخصية من مركز العمل الروائي إلى هامشه، فقد "بدأت الشخصية بمفهومها الكلاسيكي تمحي تدريجيا، بفعل تآكل النفسانية والاجتماعية، التي شهدت تراكما غدا تكرارا لأدوات إجرائية ثابتة ونهائية، لم تستطع تخطي نفسها، وقد يحدث للسيميائية لاحقا ما حدث

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 80.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 28.

لهذه المناهج<sup>1</sup> والملاحظ في هذا الطرح توافقه مع ما جاء به الناقد عبد المالك مرتاض، وهذا راجع إلى الاشتراك في نفس المرجعيات والنهل بالأساس من مدرسة باريس وأطروحات رائدها غريماس.

يسعى الباحث من خلال مقارنته السيميائية لرواية "غدا يوم جديد" إلى تقديم بسط نظري حول مفهوم الشخصية، فهو يرى في هذا المصطلح "مفهوما أعم من مفهوم الذات، ذلك أن الذات لها ارتباط جوهري بموضوع الرواية ولها برنامج سردي على عكس بعض الشخصيات الثانوية التي لا هدف لها في الحكاية"<sup>2</sup>، ولهذا جاء تركيزه على الذوات حيث يورد تعريفا لها في بحثه قدمه غريماس وكورتس بقولهما: "إنّ الذات تبدو في الملفوظ الأساسي كعامل تتحدّد طبيعته وفق الوظيفة التي يحتلها"<sup>3</sup> وانطلاقاً من هذا المنظور حاول الباحث في مقارنته رصد الذوات البارزة والتي تقوم بوظائف مهمة في الرواية نذكر منها: مسعودة، الحبيب، عزوز، والعمة حليلة، ذلك أنّ "انتقاء الذوات الكبرى المهيمنة نصياً وربطها بالبرامج السردية لتبيان أهمّ الاتصالات والانفصالات بين الذوات والموضوع حتى يتسنى لنا توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بنية عاملية متميزة"<sup>4</sup> لأنّ هذه القيم تُرث بالدلالات التي تعكس هوية الذوات الأكثر تواتراً في النص والتي أبرزها الباحث عن طريق التحليل السيميائي للبنى العاملة الكبرى، وبناء على علاقة الرغبة التي تربط الذات والموضوع وضع خمس ترسيمات عاملية كبرى تحدّد البرامج السردية في الرواية، نوجزها كالتالي:

<sup>1</sup> السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي دراسة سيميائية (غدا يوم جديد) لابن هدوقة عينة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000، ص 14.

<sup>2</sup> السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي، ص 20.

<sup>3</sup> A.J.Greimas. J.Courtes. dictionnaire raisonné de la sémiotique théorie du langage. Paris. P370..19: عن: السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي، ص:

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 10.

- 1 - ترسيمة: المدينة - الموضوع
- 2 - ترسيمة: الكتابة - الموضوع
- 3 - ترسيمة: الزاوية - الموضوع
- 4 - ترسيمة: الأرض - الموضوع
- 5 - ترسيمة: المدينة - الموضوع

يعد الناقد عبد الحميد بورايو من الأسماء النقدية اللامعة في الجزائر بفضل ثراء تجربته النقدية وتنوعها، حيث تميزت بترجمات نقدية ساهمت في نقل المنهج السيميائي إلى المدونة النقدية الجزائرية نذكر كتابه الموسوم ب: (مدخل إلى السيميولوجيا- نص، صورة)، وتنوعت أبحاثه بين تحليلات نظرية ومقاربات تطبيقية ويظهر ذلك في كتابه: منطق السرد، التحليل السيميائي للخطاب السيميائي، فقد اتسمت دراساته بتنوع النصوص التي قاربها منها القصص الشعبية، والروايات، والقصص، ونماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، حيث اعتمد على السيميائيات السردية من خلال آلياتها وإجراءاتها وذلك في إطار تأثره بأطروحات المدرسة الفرنسية فالباحث يرى أنه "قد عرفت الفترة الحالية من تاريخ الدراسات الأدبية نمو مباحث جديدة بالاطلاع تتميز بالثراء، تندرج ضمن ما يسمى بالسيميائيات، وهي مشروع بحث يعتمد في دراسته للنصوص الأدبية على نتائج اللسانيات والإناسة الثقافية والإبستيمولوجيا"<sup>1</sup>، وهو ما يمثل إعلانا من الباحث بتبني هذا المنهج الجديد في أبحاثه.

بناء على ما ذكرناه، نجد الباحث يتمثل الإجراءات الغريماسية في مقارنته لأغلب النصوص الأدبية التي اختارها، وذلك بفضل الإفادة المنهجية التي استقاها من أطروحات المدرسة الفرنسية والتي

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، منشورات السهل، الجزائر، دط، 2009، ص 25.

طُورت عن فلاديمير بروب، وعلى غرار التزامه بالمربع السيميائي الغريماسي في تحليله السيميائي نجده يعتمد على المسار السردى ونموذج الفاعلين والبنية الدلالية العميقة، ذلك أنّ "لكل نسق من هذه الأنساق النموذجية قواعد عمله وانسجامه، منها ما يتعلق بمظهر الخطاب وبعناصره الحاضرة في السياق والمتجاورة في خطاب القصة، مثل المسارين السردى والغرضي، ومنها ما هو ضمني محايث، يتم استنباطه وفق آليات تحليل يسمح بها النموذج المستنبط مثل بنية الفاعلين والبنية الدلالية العميقة." <sup>1</sup> الثاوية في مفاصل الخطاب السردى.

إنّ المتتبع لدراسات الباحث يجد دوغما عناء أنّ له مهادا نظريا لكل عنصر يسعى إلى مقارنته، حيث يؤسس لمصطلح الشخصية أثناء نقله من أطروحات غريماس على أنه الممثل (acteur) والقائم بالفعل (actant) ذلك أنّ هذين المصطلحين لا يستطيعان أن يحلا محل الشخصية رغم أن غريماس حاول تجاوز ما في هذا المصطلح من دلالات نفسية فاستعاض بهذين المصطلحين لدقتهما<sup>2</sup>، وقد أعاب عليه الباحث يوسف وغليسي هذا التشظي المصطلحي رغم أنّ رشيد بن مالك يسعى دائما إلى تقديم رؤى نقدية مغايرة ومتفردية حتى لا يقع في مستنقع التبعية المطلقة.

ينتقل الباحث إلى تحليل النصوص السردية حيث يعمد إلى تقطيع نصّه إلى مقاطع كبرى قصد الإحاطة ببنياته السردية لعل أهمها الشخصية "حيث يتم رصد كل شخصية من خلال التغييرات التي تطرأ عليها وبناء موقعها في شبكة العلاقات التي تنتمي لها حسب المستويات الثلاثة: البنية الفاعلية

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى (دراسات لحكايات من ألف ليلة وكليلة ودمنة)، دار الغرب، وهران، د ط، 2003، ص 05.

<sup>2</sup> ينظر: يوسف الوغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 127.

وبنية الممثلين، وبنية الأدوار الغرضية، وعمليات التصنيف المقترحة تسمح بفحص الشخص في وظائفهم الخاصة، وسيكون للأبطال ذوي الحضور السردي المتميز في النصوص حقهم في العناية أثناء التحليل<sup>1</sup> وهذا النهج فيه تمثل لمقولات فلاديمير بروب حيث يركز على الوظائف وما تقوم به الشخص من أفعال تبرز في الملفوظ السردي الموحي لها، ذلك أنه يحلل هذا الملفوظ المقسم إلى مقاطع متألّفة اللفظ وفق نسق معرفي تثر الدلالة، فالصور اللفظية داخل المتن الروائي هي التي تبرز مختلف الشخصيات الفاعلة داخل عوالمها، كما يستنتج منها مختلف الوظائف الكبرى فيها والتي هي حسب الباحث على خمسة أقسام هي:

1- الوضعية الافتتاحية.

2- الاضطراب.

3- التحول.

4- الحل.

5- الوضعية افتتاحية.

---

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، ص 17

ثالثا: قراءة في المنجز السيميائي للناقد رشيد بن مالك

المتتبع للواقع النقدي الجزائري يرى في أعمال الباحث رشيد بن مالك مرجعًا هامًا في مجال النقد السيميائي العربي، ذلك من خلال الجسر الذي أقامه الناقد بين النظريات النقدية الغربية والتراث الأدبي العربي، مفعلاً بذلك حوارًا جادًا بين المناهج الغربية والنصوص العربية مع مراعاته لخصوصية هذا التراث، ولم تكن الأوبة إلى هذه الأطروحات النقدية ترفاً فكرياً بل سعيًا جادا منه إلى تأسيس خطابٍ نقديٍّ متفردٍ يحاكي الغرب على المستوى النظري ومقارباته التطبيقية على النصوص الإبداعية المتنوعة، وجاء هذا التوجه عن طريق المثاقفة المباشرة للباحث مع أقطاب النظرية السيميائية الفرنسية يأتي في طليعتهم ألجيراد غريماس صاحب الفضل في تطوير الدرس السيميائي المعاصر.

إنّ الناقد رشيد بن مالك من خلال هذه المثاقفة يريد تقريب هذه النظريات إلى المتلقي العربي لأنّه "من أكثر النقاد الجزائريين استشعارًا لصعوبة فهم السيميائيات والعمل بها، وقد نبّه إلى ذلك في مواضع كثيرة من دراساته وكتبه، فالقارئ العربي - في نظره - يواجه صعوبات جمة في قراءة ما كتب عن السيميائيات وفهمها واستساغتها، سواء ما كان مترجمًا أم في شكل بحوث، وإذا كان هذا هو الحال فكيف السبيل لتبني مفاهيمها وأسسها وتجسيدها على أرض الواقع؟"<sup>1</sup>، وهذا ما شكّل له حافزا لفهمها من مراتبها الأولى في فرنسا وهو ما ترتّب عنه وعيٌ نقديٌّ دقيق للباحث وقدره منه على المزاجية بين العمق النظري المبني على فهم النظريات الغربية، والمقاربة المتميزة المبنية على تحكّم في

<sup>1</sup> صالح الدين ملفوف، التجربة النقدية السيميائية في الجزائر (معالم وأعلام)، ص 10.

الأدوات الإجرائية لهذه النظريات، هذا الفهم من الباحث أهله إلى أن يقدم لنا أبحاثاً متميزة أسهمت في تبسيط هذه النظريات للقارئ العربي من جهة وإلى إثراء المشهد النقدي العربي من خلال بحثه الموسوم ب: **مقدمة في السيميائيات السردية**.

وقد تبلورت الرؤية السيميائية للباحث رشيد بن مالك من خلال انفتاحه على الدرس السيميائي الفرنسي حين حاول الإحاطة به عن طريق العديد من الترجمات كترجمته لكتاب "السيميائية أصولها وقواعدها" لمشيل آرفيه (Michel Arrivé) وجان كلود جيرو (Jean Claude Giroux) وترجمته لكتاب "السيميائية مدرسة باريس" للناقد جان كلود كوكي (Jean Claude Coquet) وما هذه الترجمات إلا سعي منه لتذليل الصعاب للقارئ العربي و"من أجل تجاوز مصاعب الترجمة وتخطي فوضى الاستعمالات المصطلحية الجاري العمل بها"<sup>1</sup> والتي أثارت جدلاً كبيراً في الوسط النقدي العربي، وما زاد من تنوع الخطاب السيميائي وثرائه لدى الباحث انشغاله بالتأليف القاموسي وهو ما تجسّد في عمله الموسوم ب: **قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص**، ورغم هذا التنوع في الدراسات والأبحاث للباحث فهو يرى أنّ المنجز النقدي السيميائي العربي - على كثرته - لا يزال بعيداً عن المستوى المطلوب ولم يحقق بعد المرجو منه، وتظل تلك الأعمال قاصرة ومضلّلة أحياناً، لأنّها تقدم مفصولة عن أسسها الاستمولوجية، وعن المناخ الذي ولدت فيه، الشيء

<sup>1</sup> رشيد بن مالك قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000م، ص 07.

الذي يجعل القارئ في أغلب الأحيان عاجزا عن إدراك الفروق بين هذا المفهوم أو ذاك، وبين هذه النظرية وتلك.<sup>1</sup>

## 1- البعد التأصيلي في كتاب مقدمة في السيميائيات السردية:

ساهمت الأبحاث التي قدّمها الباحث رشيد بن مالك في توطين النظرية السيميائية في الخطاب النقدي العربي ومن ثمّ تقريبها للمتلقّي العربي المتلهف لسبر أغوارها، وكما ذكرنا سابقا يعد كتاب الباحث الموسوم ب: "مقدمة في السيميائيات السردية" من الدراسات التأصيلية الجادة التي يحاكي فيها الباحث السيميائيات السردية المنبثقة عن مدرسة باريس وأطروحات رائدها غريماش، فهذه الدراسة تعدّ "أحد أهم المؤلفات التي تنزع منزع التأصيل والتأسيس، عبر ردّ النظرية إلى أصولها ومنابعها الأولى، وتفحص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول، لمعرفة حقيقتها وبالتالي التعرف إلى مدى التطور أو التحوير الذي لحقها بعد نقلها من بيئتها الأولى أو استثمارها من قبل نظرية أو نظريات أخرى"<sup>2</sup> حيث نجده يقسم هذا البحث إلى قسمين رئيسين، قسم يطرح فيه المهاد النظري لهذه النظرية، وقسم إجرائي تطبيقي يبين فيه مدى الفاعلية الإجرائية لهذه النظرية في تحليل النص السردية.

يرجو الباحث بهذه الدراسة "تمكين القارئ العربي من المبادئ الأولية في النظرية السيميائية، وتحريضه على النظر بعمق في الآليات التي تحكم النصوص السردية، وفي السبل الكفيلة التي من شأنها

<sup>1</sup> ينظر: جان كلود كوكي، السيميائية (مدرسة باريس)، ترجمة: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر، د ت، ص 11، 12.

<sup>2</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ط 1، دار الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2014، ص 71.

أن تسخر لتطويق المسارات الدلالية الممكنة التي تخترق النصوص وتمنحها التجانس الدلالي<sup>1</sup>، ذلك أنّ هذا القارئ يجد مشقة كبيرة في التعامل مع هذه النظرية وأدواتها الإجرائية، إذن فالهدف الأسمى ليس الوصول إلى تحليل النصوص الأدبية المختلفة تحليلاً سيميائياً وفقط بل هو سعيٌّ جهيد إلى تجاوز الجمود في الساحة العربية النقدية ومن ثم المساهمة في الرفع من الوعي النقدي لدى الباحثين بما يتيح لهم فهماً عميقاً لهذه النظريات ومصطلحاتها وأدواتها الإجرائية، إذ أنّ هذا الوعي يكسبهم القدرة على التعامل بنضج مع مختلف النصوص الأدبية وما فيها من علامات سيميائية تستوجب الرصد الدقيق والتأويل المثالي.

ما يستوجب ذكره في مستهل الحديث عن هذا الكتاب الموسوم ب: **مقدمة في السيميائيات السردية** هو أنّه يأتي في إطار بناء مرحلة تأسيسية للمدونة السيميائية الجزائرية والتي تتسم بالبعد التأصيلي التنظيري للنظرية السيميائية المستمدة من المدرسة الفرنسية، ويتجلى ذلك من خلال تقصي الباحث لأصول هذه النظرية وسياقات تكوينها، ذلك أنّ القارئ العربي مازال يقرؤها مفصولة عن منابعها الإبتيمولوجية والفلسفية، ما يترتب عن هذه القراءة القاصرة ضعفٌ في استيعاب مقولات المنهج التنظيرية ومفاهيمه ومصطلحاته وكيفية القبض على أدواته الإجرائية والتحكم فيها أثناء مساءلته الآثار الأدبية العربية.

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، د ط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000، ص 07.

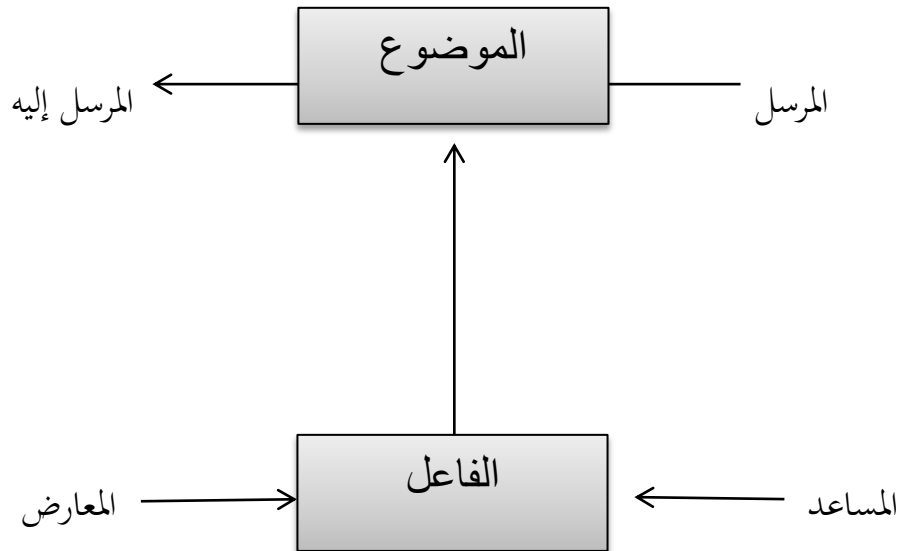
استهل الباحث كتابه بفصل نظري موسوم ب: الأصول اللسانية والشكلانية<sup>1</sup> للنظرية السيميائية حيث بدأه بمقدمة منهجية بيّن فيها الدافع من وراء القيام بهذا البحث، إذ هو سعي منه "إلى دراسة الأصول اللسانية والشكلانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية ( مدرسة باريس ) واستمدت منها مصطلحيتها العلمية"<sup>2</sup>، حتى تتضح الرؤية للمتلقى العربي كيفية استفادة النقد المعاصر من الأطروحات اللسانية الحديثة التي بزغت من الدرس السوسيري، ويفهم بعمق المنطلقات الشكلانية ودورها الرئيس في تبلور معالم النظرية السيميائية، فالناقد الجيراد غريماس قد طوّر هذه النظرية من خلال استثماره في أطروحات الشكلاني فلاديمير بروب التي تدعو إلى الثورة على المناهج السياقية و"دراسة الأدب بوصفه مجموعة شكلية تحكمها قوانين خاصة مع التركيز على العناصر النصية والعلاقات المتبادلة بينها وعلى الوظيفة التي تؤديها في مجمل النص"<sup>3</sup> وهي دعوة تتجلى في أهم كتاب له عُنونه ب: مورفولوجيا الحكاية *morphologie du conte* وي طرح فيه قضيته المحورية المتمثلة في الوظائف (الأفعال) التي تتميز بالثبات في إدارة الحكاية الروسية والبالغ عددها واحد وثلاثون وظيفة تقوم بها شخصيات الحكاية وهي عنصر متغير، وفي نظر الباحث رشيد بن مالك "يستمد

<sup>1</sup> ظهرت حركة الشكلانيين الروس كاتجاه أدبي أدبي مناهض، ومعارض للمناهج التقليدية التي كانت رائجة وفاعلة وقت ذاك في العقد الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا خلال الفترة الممتدة ما بين 1915-1930م، فقد توجت جهودهم ضمن حلقة موسكو اللغوية (اللسانية) (1915)، وجمعية دراسات اللغة الشعرية، والتي تعرف بالعبارة الروسية المختصرة (opoyaz) الأبوياز (1916)، لها أعلامها النشيطون في مجال الممارسات النقدية والدراسات الأدبية. نذكر منهم: بوريس الخنباوم B Eikhenbaum، أوسيب بريك Ossip Brik، ميخائيل باختين M Bakhtine، فلاديمير بروب V Propp .. ينظر: عبد السلام مرسللي، واقع الخطاب السيميائي في النقد المغربي، أطروحة دكتوراه، 2015-2016، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، ص 127.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 05.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 29.

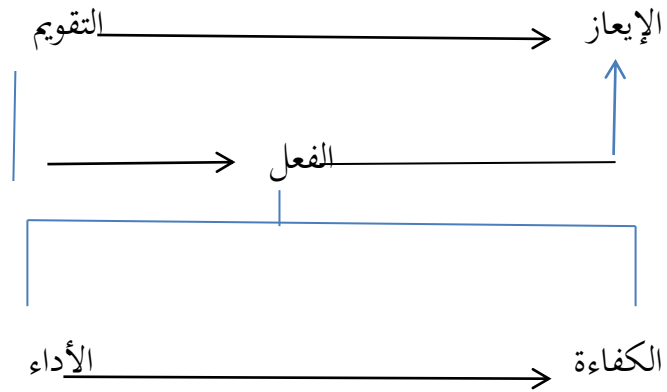
النموذج الوظيفي البروبي قوته الإجرائية من مرونته وقابلية تطبيقه على النصوص السردية، وتكمن أهميته المنهجية وفائدته العلمية في قدرته على إبراز مبدأ الاختلاف على طول الخط السردى<sup>1</sup> وهو ما انطلق منه غريمانس الذي أشاد بعمل بروب وبتمودجه في دراسة الخطابات السردية، إلا أنه يرى فيه بعض النقائص التي شابت طرحه لعدد هائل من الوظائف ومحاوله تطبيقها آليا على هذه الخطابات تطبيقا آليا، والتي "تظهر وكأنها تقنيات متكررة من دون مشروع علمي: لا تخدم الرفع من معرفتنا للأنظمة السردية، ولا بالإشارة إلى نوعية النصوص المدروسة"<sup>2</sup> هذا الفهم من الناقد الجيرارد غريمانس جعله يستفيد من تراث بروب ويعالج ما فيه من اختلالات حيث أضاف تعديلات منهجية عليه، فبلور مخططا خاص به اختزل فيه وظائف بروب يوضح فيه العلاقات الرئيسية والتي تحكم شخصيات الرواية وما اسند إليها من وظائف، والرسم العاملي الآتي يبرز ذلك:



<sup>1</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية ، ص 30.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 32.

واستكمالاً من الباحث في رصده الحثيث لأهم المحطات التي مرت بها النظرية السيميائية، يبرز ما قام به الناقد كورتيس هو الآخر والذي انطلق أيضاً من الرافد البروي واستكمل ما قام به غريماش من تعديلات منهجية، "نحصل في نهاية التحليل على بعدين أساسيين في النظرية السيميائية: بعد معرفي يتأسس عليه الإيعاز والتقويم، وبعدٌ تداولي ندركه من خلال عمل الفاعل .. يمكن أن يأخذ الرسم السردي انطلاقة من هذه الملاحظات التي قدمها كورتيس الشكل الآتي<sup>1</sup>:"



إنّ هذا التفصيل من الباحث في رصد منطلقات النظرية السيميائية وما طرأ عليها من تغييرات تبرز بوضوح براعته في فهم هذه النظرية من مضامنها، يصرح قائلاً: "ضبطنا في البداية بشكل شمولي التوجه الشكلاني الروسي العام في الممارسة النقدية، وتتبعنا في أثناء التحليل النموذج البروي (modèle proppien) فقيدنا الانتقادات التي وجهها إليه - غريماش - وأسس عليها - بناء على هذا النموذج المتخذ كنقطة انطلاقة للبحوث السيميائيين - الرسم السردي (schéma

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 35.

(narratif) الذي يعد سندا مهما في لفهم تنظيم الخطابات السردية<sup>1</sup> فيتحقق بفضل هذا الفهم نقلة نوعية للخطاب النقدي العربي وفتح آفاق واسعة أمام باحثيه لتطوير قراءاتهم وتنويعها دون شعور بالنقص أو التبعية للغرب.

ولأنّ لكل منهج مصطلحاته الأساسية التي يبنى عليها كيانه فقد ارتأى الباحث رشيد بن مالك رصد هذه المصطلحات ومن ثمّ الإحاطة بمفهومها في إطار اللسانيات، ذلك أنّه يرجع أصولها العلمية والفكرية إلى الدرس اللساني بمختلف مشاربه خاصة ما جاء به دي سوسير، فالباحث يؤكد على الفهم العميق لكل مصطلح أو مقولة سيميائية بدءا من منطلقاتها حتى يتحقق استيعاب لهذه النظرية ومقولاتها، رغم إدراكه بصعوبة نقلها إلى البيئة العربية ومحاولة تكييفها مع واقع ثقافي له خصوصيته وما يترتب عنه من تشويه للمفاهيم وتشظي مصطلحي بين الباحثين، ذلك "أن ترجمة الخطاب النقدي المنجزة في إطار السيميائية وتحديدًا في المنظور الغريماسي كثيرا ما تسقط في التعميمية بدون القدرة على بلورة المفاهيم النقدية التي افترضتها أو تعتمد على جزئيات مبتورة عن السياقات المنهجية التي انبثقت منها والاشكالية البحثية التي انبت عليها والمرجعيات التي تحيل عليها"<sup>2</sup> وهي مرجعيات فلسفية خاصة صعبة الفهم، أضف إلى ذلك التساهل من طرف الباحثين في التعامل مع التراث العربي والتكسر له أثناء القيام بترجمة هذه المصطلحات.

سعى الباحث رشيد بن مالك إلى شرح أبرز المصطلحات السيميائية شرحا مستفيضا مبينا مفهومها ومحيلا إلى منطلقاتها، رغم "أنّ طموح هذه النظرية وشساعتها ونزعتها الشمولية، وتشعب

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية ، ص28.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 70.

مصادرها المعرفية وتداخلها، وتنوع العلوم التي استند إليها في بناء جهازها المفهومي وغنى هذا الأخير<sup>1</sup>، فقد بدأ بمصطلح **المحاينة** والذي ظهر في كتاب دي سوسير من خلال كتابه: دروس في اللسانيات العامة، فالباحث يبرز كيف "تسعى السيميائية إلى دراسة التجليات الدلالية من الداخل مرتكزة في ذلك على مبدأ المحايثة (immanance) الذي تخضع فيه الدلالة ل: قوانين داخلية خاصة مستقلة عن المعطيات الخارجية"<sup>2</sup> وهو ما تبناه غريماس في بحوثه السيميائية وفق منظورين: المنظور الأول يقوم على مقولة التصديق (véridition) والمنظور الثاني يقوم على مقولة المقابلة، فكل تأويل يخضع له نسق مغلق من العناصر لا يكون إلا في إطار المحايثة كما يؤصل الباحث لمصطلح آخر تركز عليه النظرية السيميائية هو مبدأ الاختلاف (différence) القائم على وصف الأشكال الداخلية لدلالة النص والذي وضع دي سوسير قواعده وتمثله غريماس بتصور جديد يرى من خلاله أنّ الدلالة في النص تقع في إطار العلاقة بين عنصرين داخل بني النص مع الإحاطة بكل الاختلافات المنتجة للمعاني<sup>3</sup>.

يولي الباحثون في حقل السيمياء أهمية كبيرة للمربع السيميائي (carré sémiotique) ومقولاته، ولهذا حاول الباحث تأصيله وتناوله بالتفصيل، لأنّه ركيزة مهمة في المقاربات السيميائية للخطابات الأدبية ذلك أنّ فهمه من طرف المشتغلين في عالم السيمياء يفضي إلى مقارنة صحيحة، فالبنى الدلالية تتسق وفق شبكة من العلاقات التناظرية فيما بين عناصر يتم توزيعها على المربع

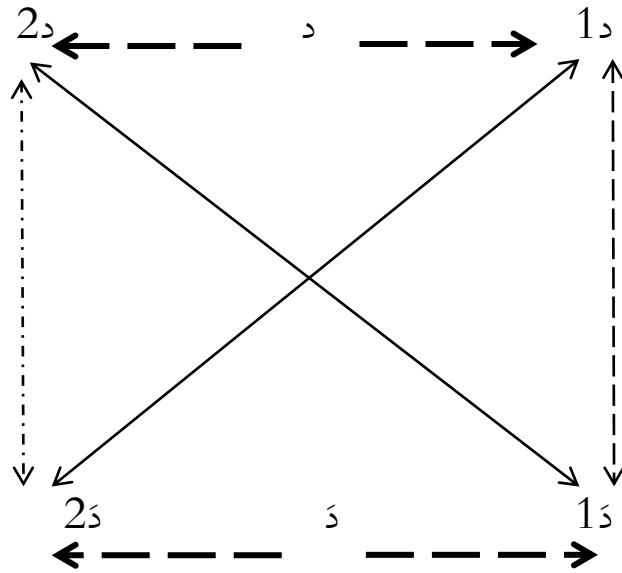
<sup>1</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 25.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 09.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

السيمائي، الذي "يعكس الدورة الدلالية العادية المتوضعة في المستوى العميق .. بناء على هذه الاستنتاجات - يقول الباحث على نحو ما أثبتته عريماس في كتابه علم الدلالة البنيوي - يمكن أن

نصوغ المربع السيمائي في الشكل الآتي:



علاقات التضاد \_\_\_\_\_

علاقات التناقض \_\_\_\_\_

علاقات التضمن<sup>1</sup> \_\_\_\_\_

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 14.

ولإبراز قيمة هذا النموذج في تحليل النصوص الأدبية وفق المنهج السيميائي يطرح الباحث في كتابه المعنون ب: السيميائيات السردية مثالا آخر يقول فيه: "نقدم مثالا آخر كثيرا ما يضربه أ. ج. غريماس: ندرك العطر بجاسة الشم، ولكن إذا أردنا أن نخبره، ينبغي أن نغادر صعيد الإدراك وننفذ إلى الصيغة الكيميائية، وقس على ذلك الكلام: ينبغي أن نغادر صعيد التجلي وننفذ إلى البنية الأولية التي يستقر عليها الكلام إنه النموذج الذي عرف باسم المربع السيميائي"<sup>1</sup> أي أنه يمثل مفتاحا استراتيجيا في يد السيميائي لرصد مختلف الدلالات المبتوثة في مستوى عميق من بنية النص السردى وغير السردى، ومن ثم فك شفراتها (codes) والسعي إلى تأويلها انطلاقا مما يربط عناصر هذه البنى المرتكزة على علاقات التضاد وعلاقات التضمن وعلاقات التناقض.

## 2- واقع المصطلح السيميائي من خلال كتاب "مقدمة في السيميائيات السردية":

نلاحظ من خلال تفحص كتاب "مقدمة في السيميائيات السردية" أنّ الباحث يملك تصورا شاملا حول النظرية السيميائية وما يحوطها من مزالق، فهو على غرار تأصيله لهذه النظرية وضبط مفاهيمها وتتبع منطلقاتها، نجده قبل الانطلاق في القسم التطبيقي من هذا البحث يعاين واقع الدراسات السيميائية العربية، فيتطرق لأهم مآزق تعيشه هذه الدراسات والمتمثل في الفوضى المصطلحية، وهذا ينم عن حرض شديد منه لاستشراف مستقبل الخطاب النقدي العربي.

ومن أجل غدٍ أفضل للواقع النقدي العربي، انطلق الباحث رشيد بن مالك يؤلف في الترجمة والتأليف القاموسي، خاصة وأنه يمتلك ناصية اللغة الفرنسية ويفقه ثقافتها، فبدونها يستعصي على

<sup>1</sup> ج كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003، ص 14.

الباحثين العرب فهم النظرية السيميائية في مضامها، ونذكر من مؤلفاته: السيميائية الأصول والقواعد والتاريخ، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، البنية السردية في النظرية السيميائية، حيث تمثل هذه المؤلفات عضدا قويا لعمله التأصيلي، وإدراكا منه بأن "ترجمة المصطلح في الخطاب السيميائي المعاصر تتسم بالاضطراب الذي يحول دون بث وتلقي الرسالة العلمية ويؤدي في جميع الحالات إلى نسف الأسس التي ينبغي أن يبني عليها التواصل العلمي"<sup>1</sup> وهو ما يقوض بناء خطاب سيميائي شامل يتوافق مع الخصوصية العربية، ولتلافي هذه الأزمة وجب "تمثل وفهم المصطلح في اللغة الأصل وإدراك سياقاته، والنظر في النصوص النظرية التي تغذيه، وضبطه بما يتوافق والإطار العام الذي يندرج ضمنه البحث"<sup>2</sup> حتى نؤسس لترجمة دقيقة تكون بمثابة جسر متين ننقل من خلاله المقولات السيميائية إلى ثقافتها دون تشويه لها.

وجدير بالذكر إنَّ الباحث رشيد بن مالك انبرى لهذه المعضلة بخطوات حثيثة يبين من خلالها أسباب الوقوع فيها، سعيا "إلى محاولة وضع اليد على مكانم الخلل في التجربة النقدية العربية الحديثة بعامة والسيميائية بخاصة، وبيان أسباب ذلك، مقترحا في هذا الصدد بعض الحلول والبدائل العلمية التي يمكن بمقتضاها تجاوز جملة من العوائق المعترضة سبيل تحقيق نقلة نوعية في وعيننا وفي خطابنا النقدي"<sup>3</sup> كون هذه الباحث على وعي تام بأهمية هذه المهمة، لأنَّ التحكم في المصطلح ومفاهيمه

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 72.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 30.

<sup>3</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 133.

يسهم بشكل مباشر في إرساء المنهج السيميائي انطلاقاً من أنّ "مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القسوة"<sup>1</sup>.

إنّ ما يزيد الطين بلة في هذا الخصوص، ظهور التعدد المصطلحي بين منظري هذه النظرية وبشكل أعم في حقل اللسانيات، فالمسألة "ليست إشكالا عربيا صرفا؛ فقد تجشم الغربيون أمثالها قبلنا، على نحو ما تبرزه مقدمة جورج مونان لقاموسه؛ حيث استعمل جملة من العبارات اللافتة التي تكشف سوء حال المصطلحات الغربية؛ كعبارة (Le malaise terminologique) الدالة على العسر الاصطلاحي"<sup>2</sup> الذي تعيشه الدراسات النقدية بعد فتوحات سوسير اللسانية ومن ضمنها حقل السيميائيات، فكيف سيكون حال النقد العربي حين تنقل إليه هذه المصطلحات بطابعها الفلسفي وعوالمها الثقافية الخاصة، فالمعضلة دون شك ستزداد صعوبة وحلها يقترب من الاستحالة على مذهب الناقد عبد العزيز حمودة الذي "يذهب إلى أبعد من ذلك حين يدعو - بطريقته الخاصة - إلى إيقاف قطار النقد الجديد، لأنّ الفوضى من أمامه والفوضى من ورائه"<sup>3</sup>، وقد لخص الباحث رشيد بن مالك أسباب هذه الفوضى المصطلحية في ثلاث نقاط أساسية هي:

1- النزعة الشخصية والفردية أثناء الفعل الترجمي للنقولات السيميائية والتي تلغي العمل الجماعي والتنسيق بين الباحثين العرب، ما يترتب عنه تعارض في خطابات نقدية واضطراب مصطلحي

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 11.

<sup>2</sup> يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 56.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 55.

كبير؛ كأن يقابل مصطلح سيميائي غربي واحد عدّة ترجمات عربية، فيتشتت بذلك شملهم النقدي ويذهب جهدهم الترجمي سُدى.

2- ترجمة المصطلحات السيميائية وفق المنظور الغريماسي يتم بعيدا عن منطلقاته الفلسفية ومرجعياته التي أسسته، ما ينجر عنه سقوط في التعميمية، ذلك أننا "نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى بكل عواقبه المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف"<sup>1</sup>، بين المفهوم في اللغة الأصل وما يقابله في اللغة العربية، ما يزيد الواقع النقدي العربي تعثرا على تعثر في سبيل مواكبة النقد الغربي.

3- وقد تأتي الفوضى المصطلحية جرّاء لهات الباحثين العرب وراء النتاج النقدي الغربي بمختلف مشاربه، وانطلاقا من "التسرع في تبني هذا التيار أو ذاك، في إطار غياب استراتيجية علمية واضحة، لا تعطي أي عناية في ترجمتها أو نقلها أو تمثلها- لخطاب هذا التيار أو ذاك - لذلك التنوع الذي يميز التيارات التي تحكم الخطاب السيميائي المعاصر"<sup>2</sup>

يروم الباحث رشيد بن مالك من خلال معانيته لهذه الأزمة المصطلحية العمل "من أجل تجاوز مصاعب الترجمة وتخطي فوضى الاستعمالات المصطلحية الجاري العمل بها"<sup>3</sup> من طرف الباحثين في حقل السيمياء، وللحد من الظاهرة عمد إلى النقل المباشر لبعض المصطلحات نذكر منها:

<sup>1</sup> عبد العزيز حمودة، المرآة المقعرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001م، ص 09.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 70.

<sup>3</sup> رشيد بن مالك، قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص، ص 07.

-Thématique: تيمي

- Isotopie: إيزوتوبيا

- Topique: طوبيقي

كما قدم في نهاية القسم النظري من كتابه مقدمة في السيميائيات السردية ثبتا للمصطلحات السيميائية ليقربها للقارئ العربي، حيث ترجم ستا وتسعين مصطلحا ورتبهم وفق ترتيب حروف اللغة العربية (أ، ب، ت..) انطلاقا من "أ" أول خطوة - في نظر الباحث - يمكن أن نقوم بها في عملية ترجمة المصطلح السيميائي، هي أن نبدأ أولا بمحصر المصطلحية في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة، ونجح ثانيا إلى ترجمة ما استعصى نقله وفق عمليات التوليد والاشتقاق والتعريب"<sup>1</sup>\*

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص 72.

\* ذكر الأستاذ يوسف وغليسي آليات صياغة المصطلح قائلا: إن التوليد الاصطلاحي - بوصفه شكلا من أشكال التنمية اللغوي - فعل مُحوج إلى عدد من الوسائل والآليات التي يتيحها فقه اللغة العربية، والتي تضطلع بإنتاج المصطلحات. عن طريق الاشتقاق، الاستعارة أو المجاز، التعريب، النحت. ( يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، ص 79). التوليد: هو تحصيل كلمة من كلمة أخرى أسبق منها وضعاً، ويعني ابتكار كلمة جديدة غير موجودة، لا في اللغة القديمة ولا في اللغة الحديثة، بمعناها أو مدلولها، أما جذورها ومادته اللغوية فهي في العربية حتما. ( خسارة ممدوح مُجَّد، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2013م، ص42).

الاشتقاق: جاء عن السيوطي في كتابه الزهر: قال في شرح التسهيل: الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلافا حروفاً أو هيئة؛ كضارب من ضرب، وحذِر من حذِر (السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق مُجَّد جاد بك ومُجَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُجَّد البجاوي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، ص 346).

التعريب: صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية (أنيس، إبراهيم وآخرون)، المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د ت، ص620، (مادة: عرب))

ذلك أن هذا ديدنه في أغلب بحوثه السيميائية، ومن المصطلحات التي وضعها نذكر الآتي (نذكر مصطلحا واحدا لكل حرف):

أ- اختلاف déffirence

ب- بنية structure

ت- تجليات دلالية manifestation sémantique

ج- جدالي polémique

خ- خلافي axiologique

س- سيميائية sémiotique

ش- شكلائي formaliste

ص- صلة jonction

ظ- ظاهر paraitre

ع- عامل actant

ف- فاعل sujet

ق- قابل للقياس mesurable

ك- كفاءة compétence

ل- لسانيات linguistique

م- ملفوظ سردي énoncé narratif

ن- نموذج بروبي modèle proppien

و- وجوب الفعل<sup>1</sup> devoir-faire

ومن أجل ذلك فقد تبدت للباحث حلول تُمكن هؤلاء الباحثين من تجاوز أزمة المصطلح ومن ثمّ

التأسيس لخطاب نقدي عربي واعٍ، وقد لخص ذلك في النقاط الآتية:

1- وجوب توحيد الجهود بين الباحثين والتنسيق بينهم (كتأسيس رابطة السيميائيين الجزائريين<sup>\*</sup>)

وتجنب الميولات الشخصية، والعمل على فهم الممارسات الجوهرية للسيميائيات وفق رؤية

علمية شاملة تستهدف إرساء خطاب سيميائي دقيق منفتح على الآخر بوعي وحذر مع

عدم التنكر للتراث العربي والتمسك به حتى يكون لنا لقاحا فكريا ضد التبعية.

2- ينبغي أن يهتم الباحث بالمرجعيات الفلسفية والفكرية التي اتكأت عليها النظرية السيميائية،

ويتمثل أطروحاتها بوعي عميق، دون إغفال منه لتطورها التاريخي وما يطرأ عليها من

مستجدات بحثية قام بها الأستاذ غريماس ومن بعده تلامذته.

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، المقدمة في السيميائيات السردية، ص 37، 38، 39، 40، 41.

<sup>\*</sup> تأسس في جامعة سطيف في ماي 1996م برئاسة عبد الحميد بورايو ومن أعضائها: جمال حضري، حسين خمري، السعيد بوطاجين، يوسف الأطرش ورشيد بن مالك، ومن أهدافها: لم تشمل السيميائيين الجزائريين، ربط الصلة بسيميائي مختلف أنحاء العالم، خلق قنوات الحوار، تشجيع ترجمة المفاهيم والأبحاث المتعلقة بالإبستمولوجية والتاريخية للنظرية السيميائية، توفير الوثائق والنشريات المتعلقة بالسيميائيات، نشر وتوزيع الدراسات والأبحاث النظرية والتطبيقية، وقد حلت تلقائيا في ظل عدم الحصول على اعتمادها، (ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 09).

وبالرغم من هذا الجهد الذي قام به الباحث في سبيل التقليل من فوضى المصطلحات نجده يقع في بعض مطباتها، وهو ما يؤكد رأي الباحث يوسف وغليسي حين قال متعجبا: "فماذا تبقى لنا -إذن- من هذا الحلم المستحيل بعدما ازداد الوضع الاصطلاحي تعقيدا أضعاف المرات؟!"<sup>1</sup>، ومن مواضع الخلل المصطلحي نذكر المثالين الآتيين:

- نقل الباحث مصطلح manipulation بترجمتين مختلفتين، الأولى: "استعمال" وذلك في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ص(102)، والثانية: "إيعاز" في كتابه: مقدمة في السيميائيات السردية (ص34).

- كما نقل أيضا مصطلحين مختلفين بنفس الترجمة، والشاهد في ذلك مصطلح "الإضمار" ويقابله مصطلح ellipse في ( ص 63)، ويقابله أيضا مصطلح vertualisation في (ص 256) من قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص<sup>2</sup>.

وبناء على ما ذكر يمكن القول إنّ رشيد بن مالك من خلال هذا المؤلف المتميز قد وضع لبنة تأسيسية تأسيسية لتأصيلية للخطاب السيميائي العربي في محاولة منه توطين النظرية السيميائية من خلال إبراز أصولها ومنطلقاتها بدءا من بروب وانتهاء عند غريماس وما أحدثه من تغيرات، كما تفحص مصطلحاتها التي انبنت عليها هذه النظرية التي تتسم بـ "شموليتها في التصور وعمقها في التحليل، وقدرتها على النفاذ إلى باطن النص من خلال الكشف عن آليات انتظامه وتحديد القواعد المتحكمة

<sup>1</sup> يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 56.

<sup>2</sup> ينظر: محمد دقي، مدرسة باريس السيميائية بين النظرية والتطبيق في الجزائر ( عبد الحميد بورايو انموذجا)، أطروحة دكتوراه، جامعة تيارت، 2021/2020، ص 173.

في تنظيم مستوياته [والتي] تتميز أيضا بصرامة منهجية ودقة علمية واضحة، يعضدها في ذلك توافرها على حشد هائل من المصطلحات ندر وجود نظير له في نظريات أخرى ومعاصرة<sup>1</sup>.

لقد حاول الباحث تبسيط الخطاب النقدي السيميائي رغبة منه في الخروج من مأزق الاضطراب المصطلحي من خلال تمثله الحقيقي لسيمياء غريماس وربطها بالتراث العربي ومن ثم إيجاد أجوبة لأسئلة القارئ العربي الحائر على المستويين النظري والتطبيقي، حيث سعى إلى نقل المفاهيم السيميائية إليهم وتبسيطها حتى يحدث تواصل علمي مثمر بين النظرية السيميائية والباحث العربي.

### ثالثا: الممارسة التطبيقية في الخطاب السيميائي عند رشيد بن مالك

يتجلى لنا من خلال قراءة أبحاث الأستاذ رشيد بن مالك ودراساته المتنوعة تمثله الكبير للاتجاه الفرنسي الغريماسي من السيميائيات السردية في إطار مشروعه السيميائي الذي يُبرز فيه رحلته التأصيلية للسيميائيات الفرنسية "فالباحث يعد من بين الباحثين الجزائريين القلائل الذين يتلقون المعرفة الغربية (السيميائية) من مظاهرها وأصالتها مباشرة دون واسطة لمعرفته باللغات الأجنبية التي كفلتها له دراسته بفرنسا، فنجدته أكثر اهتماما<sup>2</sup>، أما في الجانب التطبيقي فنلفيه متحكما في المنهج ضابطا لمصطلحاته بوعي نقدي عميق ساعده في التطبيق الآلي لمقولات السيميائية الفرنسية

<sup>1</sup> قادة عقاق، الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظري)، مجلة موقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 456، سوريا، 2009، ص 12.

<sup>2</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 71.

بالإضافة إلى امتلاكه الأدوات الإجرائية اللازمة والمتبدية في مقارباته لمختلف أصناف الخطابات السردية (رواية، حكايات شعبية، قصة قصيرة).

عطفًا على ما سبق قوله، فما بين التأصيل والتطبيق نجد أنّ الناقد يضيف على مشروعه السيميائي نوعًا من التكامل رغم أنّه "واثق من خطورة المهمة... ستثير من دون أدنى شك، جدلا من شأنه أن يؤدي - إذا توفرت الإرادات الحسنة - إلى ترقية البحث وإرساء قواعد الحوار العلمي المثمر"<sup>1</sup> الذي نتجاوز به إشكالات النقد السيميائي الفرنسي وما يطرحه من ترسانة مقولات ومصطلحات، وبذلك أضحت مكتبة أعمال رشيد بن مالك مرجعية هامة لأغلب الباحثين المشتغلين في حقل السيميائيات الذين وجدوا فيها ضالّتهم في واقع يتسم بالشلل والتقليد وغياب الإبداع فضلا عن جمود العمل الجماعي بين الباحثين، ولهذا "أخذ الباحث لنفسه مشروعًا نقديًا خاصًا، متكئًا في ذلك على فكرة التواصل الإيجابي مع المشتغلين الجادين على السيميائية السردية ذات التوجه الغريماسي معتقدا بأنّ مشروعه العلمي سيلقى الإقبال والحفاوة يوما ما"<sup>2</sup>، وقد أسهم الباحث في إثراء الساحة النقدية بدراسات سيميائية تطبيقية متنوعة تستنكه عوالم النص الأدبي وتسبر أغواره باقتدار منهجي كبير، ومن أهم هذه الدراسات نذكر الآتي:

- السيميائية بين النظرية والتطبيق (رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج نموذجًا)، أطروحة

دكتوراه عن جامعة تلمسان 1995.

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 12.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 10.

- مقدمة في السيميائيات السردية (2000).
- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (2000).
- البنية السردية في النظرية السيميائية (2001).
- السيميائية: أصولها وقواعدها (ترجمة) (2002).
- السيميائية: مدرسة باريس (ترجمة) (2003).
- تاريخ السيميائية (ترجمة) (2004).
- السيميائيات السردية (2006).
- السيميائية: الأصول، والقواعد، والتاريخ (ترجمة) (2008).

يظهر طموح الباحث رشيد بن مالك في إرساء دعائم الخطاب السيميائي من خلال الرؤية النقدية الواضحة أثناء مقارباته المتنوعة، حيث استثمر المقولات الغريماسية في استنطاق المتون السردية على غير المقاربات الكلاسيكية المعيارية، لذا سنحاول الظفر بإجابة لتساؤلنا حول مدى نجاعة الخطاب التطبيقي للباحث وفاعليته التحليلية لمختلف النصوص عن طريق العلاقة التي أقامها بين المنهج السيميائي وبين الإبداع السردى العربى، من خلال تفحصة لمختلف مكوناته الأساسية باستجلائها ورصد تحولاتها وحالاتها ضمن النص السردى، وبما أنّ عنصر الشخصية له حضور قوي وفاعل في تمفصلات السرد فقد احتفى به الناقد في بحثه الموسوم ب: السيميائيات السردية انطلاقاً من "مسألة التأثير الدلالي لهذه الشخصيات التي تستمد وجودها من حضورها، ستقودنا - حسب الباحث- إلى البحث عن الطرق الكفيلة بتحديد ما منهجياً، وتصنيفها، والتعرف على أدوارها

الموضوعاتية *thématique*، والوقوف عند رغباتها التي تقف وراء تحركاتها وتناميها على امتداد المساحة النصية، والكشف عن العلاقات الداخلية القائمة بينها<sup>1</sup> فهي نبض السرد ومن الواجب على كل باحث في حقل السيمياء الاشتغال عليها والتغلغل فيها شكلا ومضمونا.

### 1- قراءة في التحليل السيميائي لشخصيات رواية نوار اللوز:

يمهد الباحث دراسته التحليلية لشخصيات رواية نوار اللوز للروائي واسيني الأعرج<sup>2</sup> - في إطار إعداداته لأطروحة الدكتوراه الموسومة ب: السيميائية بين النظرية والتطبيق - بمقدمة منهجية مهمة يُطوع فيها معرفته السيميائية لخدمة الباحثين العرب وتوجيههم، محاولا سد خصائصهم المعرفي في مجال دراسة عنصر الشخصية الذي يرى فيه مشكلا يواجههم أثناء مقارنة الخطابات السردية، خاصة وأنّ هذا المكون السردية قد انتقل إلى مركز النص الروائي وتبنى عليه جل الأحداث وتربط به شبكة العلاقات، كما أنه يمثل بنية رمزية منتجة للدلالات، ولهذا فالمقاربات السيميائية "تنظر إلى مقولة الشخصية - على عكس المقاربات التقليدية السابقة - باعتبارها علامة يجري عليها ما يجري على العلامة، من حيث كون وظيفتها اختلافية، ومن حيث كونها علامة فارغة، أي بياضا دلاليا - أو كائنا من ورق

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 128، 129.

\* واسيني الأعرج، ولد يوم 08 أوت 1954م بقرية سيدي بوجنان الواقعة على الحدود الجزائرية المغربية، نشأ في بيئة عائلية فقيرة، التحق بمدرسة القرية حيث تلقى تعليمه الابتدائي، ومنها انتقل إلى مدينة تلمسان لمزاولة التعليم الثانوي، ثم تحول سنة 1973م إلى جامعة وهران لتحضير شهادة الليسانس في الأدب العربي، وبعد تخرجه في سنة 1977م، سافر إلى دمشق لمواصلة دراسته العليا، فتحصل على شهادة الماجستير براسالة موسومة: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ثم على دكتوراه الدولة بأطروحة عنوانها: تطور مفهوم البطولة في الرواية الجزائرية، ثم عاد ليتحقق بسلك التعليم الجامعي حيث يشتغل أستاذا في الادب الحديث بجامعة الجزائر. ( رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص 71).

كما يقول بارت - لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد<sup>1</sup> ما يجعل الإحاطة بمعاني هذه البنية يستوجب فهما عميقا لها وبمقولاتها المتشعبة، وهو ما انبرى له الباحث رشيد بن مالك انطلاقا من حسه التوجيهي حيث بسّط مفهوم الشخصية من خلال ثلاثة مستويات رئيسية نحوي، سردي وأدبي على النحو الآتي :

- النحوي أولا، فالشخصيات تنتشر على امتداد النص لتحتل موقعها من خلال الأفعال التي تستند لها.

- السردي ثانيا، لأنّ الشخصية بوصفها وحدة سردية تسهم في القصة المروية .histoire narrée

- الأدبي أخيراً، يعتمد هذا المستوى اعتمادا كلياً على ما يقيمه النص من علاقة بالعالم الخارجي وذلك انطلاقاً من الاعتقاد السائد بالعلاقة الوثيقة الموجودة بين النص والشخصيات الحقيقية.<sup>2</sup>

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن هذا التبسيط من الناقد لمفهوم الشخصية لم يصل إلى تعريف دقيق يزيل الغموض عن هذا المكون، وهو ما خلص له الناقد في تقاطع مع ما جاء به فيليب هامون الذي "أشار في دراسته للنظام السيميولوجي للشخصية عندما أكد أنّ رواج التحليل السيكولوجي أسهم في تعقيد المسألة وإثارة اللبس في التمييز بين الشخص (personne) والشخصية

<sup>1</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 110.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 129.

(personnage)<sup>1</sup> ذلك أنّ المناهج السياقية قد ربطت مقولة الشخصية بالشخص الذي هو كائن حي مستمد من الواقع المعيش، غير أنّ هذه النظرة الكلاسيكية الخاضعة للاستقراء النفسي والاجتماعي سرعان ما تراجعت وتآكل رصيدها في ميدان النقد المعاصر، مفسحة المجال لما جاءت به الأطروحات السيميائية التي أحدثت قطيعة جذرية مع الرؤى التقليدية الجامدة، حيث رأت في الشخصية علامة سيميائية مهمة تستولي على النص الروائي، يتم تأويلها ضمن نسق علاماتي مترابط، وهو ما يبرز أهمية المنهج السيميائي في السعي وراء الدلالة عن طريق أدوات التأويل لمختلف مكونات الرواية.

تأسيسا على ما سبق فالشخصية مكون سردي جديد يتبلور بعد الانتهاء من كتابة النص الروائي ليساهم في تشكيله القارئ بثقافته أثناء القيام بتأويله، وهو ما يمثل للباحث منطلقا يروم به فهم النص الروائي وأحداثه وما يكتنزه من دلالات، في تكريس منه للدرس السيميائي وما يتيح من أدوات إجرائية مرنة، حيث يظهر الباحث نزعته النقدية الوفية لتوجهات غريماش أثناء تحليله لشخصيات رواية نوار اللوز "تحت مفهوم الممثلين المجسدين .. بمهمة مزدوجة؛ إنهم، من جهة، يدعمون البنية السردية في اضطلاعهم بالوظائف الأساسية وفقا للمقطوعات وتبعاً لمجال الحكاية، ويتحملون من جهة أخرى العناصر الدلالية"<sup>2</sup> في إطار المقولات التي تبرز الشخصية من خلال وظيفتها داخل السرد وما تضيفه من حركية داخله، والتي استقاها الباحث رشيد بن مالك من عند ملهمه غريماش الذي بدوره طورها عن سلفه رائد الشكلانيين فلاديمير بروب، فهذا الثراء النقدي لدى

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 129.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 130.

الباحث يحاول نقله إلى الساحة العربية وضبط المفاهيم حول مقولة الشخصية لدى الباحث العربي حتى يصبح مؤهلاً لمقاربتها وفق المنظور السيميائي.

## 2- تصنيف الشخصيات في رواية نوار اللوز:

تأسيساً على هذا المهاد النظري الذي يوظف مفهوم الشخصية، تتجلى أهمية هذه المقدمة المنهجية في تشكيل الوعي النقدي لدى القارئ العربي، كما تبرز من خلاله رؤية الباحث النقدية الدقيقة واقتداره السيميائي الذي يتضح أكثر حين يبدأ رشيد بن مالك مقارنته لهذا المكون السردي والوقوف على تصنيفه وتأطير مكوناتها الشكلية والدلالية، وهو ما سنسلط عليه الضوء نروم بذلك الوصول إلى إجابة على أهم سؤال: كيف تعامل الباحث مع هذا المكون السردي سيميائياً؟ والذي يحيلنا إلى أي مدى كانت هذه المقاربة فعالة في الكشف عن التجليات الدلالية لهذا العنصر أثناء مطاردته لتصنيفاتها داخل المتن الروائي وسعيه للإحاطة بأدوارها وشبكة علاقاتها؟

يرى الباحث في تصورات فيليب هامون وطريقته في التعاطي مع مقولة الشخصية رافداً مهماً يتكئ عليه في تحليله لهذا المكون، لما يحتويه من أدوات إجرائية تساعد في تصنيف شخصيات الرواية "انطلاقاً مما تحيل عليه العلامة اللسانية التي استند إليها المؤلف في تحديده لمقولة الشخصية، من وجود أنواع ثلاثة من هذه العلامات يقدم لنا هامون ثلاثة أنواع من الشخصيات: شخصيات مرجعية، وشخصيات إشارية، وشخصيات استذكارية"<sup>1</sup> من خلال انتظامها داخل نسق الخطاب السردي

<sup>1</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغربي، ص 111.

بوصفها علامة سيميائية (signe) لها وجهان متلازمان دال (signifiant) ومدلول (signifié)

أو كائنا ورقيا ينفجر دلاليا وقت اكتمال بنائه أمام القارئ العطشان لاستقرائه، ويعد مفهوم المرجع

أساسا أثناء وضع تصنيف الشخصيات في نظر الباحث، ذلك أنّ المرجعية تمثل "الوظيفة اللسانية التي

يحيل بها الدليل اللساني على موضوع العالم غير اللساني، سواء كان واقعا أم خياليا"<sup>1</sup> ما أفرز لنا

الصف الأول والمتمثل في الشخصية المرجعية (personnage référentiel) والتي تحيل على

الواقع غير النصي (extra-textuel) ومن ضمنها شخصيات اجتماعية، تاريخية، مجازية،

وأسطورية.

بناء على طرح فيليب هامون حول مقولة الشخصية وتصنيفاتها، ميّز الباحث بين نوعين من

الشخصيات حصرهما في "فئتين متميزتين؛ فئة مستوحاة من التاريخ الجزائري بشكل مباشر نطلق

عليها الشخصية التاريخية (personnage historique)، وفئة تحيل على شخصيات أدبية

أجنبية عن النص الروائي تنضوي تحت مصطلح الشخصية التناصية (personnage

itertextuel) التي تؤدي وظيفة تناصية تتجسد في مختلف مستويات بنية النص"<sup>2</sup> لكثافتها

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 130.

\* مفهوم المرجعية: يعرفها سعيد علوش بقوله: المرجعية علاقة بين العلامة وما تشير إليه. (ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص 97. أما مرتاض فيرى فيها: وظيفة تتيح للسمة أن تحيل على المتحدث عنه، على نحو تعيين المرجع، حتى كأنها صنو للتقريرية la dénotation. (عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010م، ص 387). أما جان ديبوا (jean debois) فيرى أنّها: الوظيفة التي بواسطتها تحيل سمة ما على موضوع للعالم خارج عن حقل السيميائيات، حقيقي أو خيالي، إنّ الوظيفة المرجعية هي لغوية أساسا، غير أنّه من غير المعقول وقف وصف إجراءات الاتصال على هذه الوظيفة وحدها. (ينظر: عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 389، 390).

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 131.

الدلالية داخليا وما تربطه من علاقة مع شخصيات حقيقية خارج النص، فالنموذج الأول الذي استمال الباحث لتحليله يعد من أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم تم حصرها في نابليون بالإضافة إلى أولاد لاليجو، حيث وظفها الراوي لتناسب الوظيفة الموكلة إليها، واستحضر من خلالها الماضي لاستنطاق الحاضر وتبرز في الملفوظ السردي الآتي: "صورة نابليون المنقوشة على الحائط شعر بها تستفزه في حياته وشبابه"<sup>1</sup>، فالباحث يرى في هذه الشخصية علامة سيميائية أيقونية (صورة نابليون) ذات بعد تاريخي كسرت حاجز الزمن بإيعاز من الراوي الذي استدعاها قصد اسقاط تاريخها الحافل بالسواد استحضارا منه لممارسات المستدمر في الجزائر، "ومن هنا تتخذ شخصية نابليون مدلولها الحقيقي لتتحول إلى كابوس مرعب يؤكد الفصل التاريخية لحاضر الجزائر عن ماضيها"<sup>2</sup>، وهذا ينم عن براعة من الراوي الذي ضمنها هذه الرسالة في محاولة منه لمعالجة الواقع وربطه بالتاريخ وشخصياته، ما استوجب قارئاً حصيماً مثل رشيد بن مالك في مساءلته لهذه الشخصيات التاريخية (المرجعية) وسبر أغوارها واستكناه ما تحمله من أفكار ورؤى ومن ثم الوصول إلى كيفية تعالقها مع داخل النص الروائي.

وتحت نفس التصنيف - الشخصية المرجعية - ينضوي النموذج الثاني المتمثل في الشخصية التناصية والتي استدعاها الراوي قصد تحقيق رؤيته في رواية "نوار اللوز" وإثرائها، فالسيرة الهلالية تمثل خلفية مرجعية تنهض عليها تجربة صالح المبتوتة في تمفصلات الرواية، والباحث رشيد بن مالك بدوره

<sup>1</sup> واسيني الأعرج، نوار اللوز (تغريبة صالح بن عامر الزوفري)، دار الحدائق، بيروت، 1983، ص 153.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 132.

رصد "أدوارها الموضوعاتية المتميزة التي تحيل على عالم دلالي مشترك ( التهريب ) بين تغريبة<sup>1</sup> بني هلال وتغريبة صالح"<sup>2</sup>، وتحليل العلاقة بين بني هلال وصالح وتأويلها ببراعة مستنتجا تماثلا بين التجريبتين، هذا التماثل الذي جسده الراوي بسلطة كتابته حين استحضر شخصية من التراث لمعالجة الواقع الراهن، ذلك أنّ هذا الواقع المتجدد لن تعالجه السيرة الهلالية دائما لأنها لا "تمثل الإمكانية الوحيدة التي استخدمها المجتمع الجزائري للتعبير عن واقعه المباشر بصفة عامة، وعن تطور الوعي الوطني في مختلف مراحلها، بصفة خاصة"<sup>3</sup> وهو ما جسده شخصية صالح بن عامر الزوفري على سطح النص الروائي وهي حاملة لأفكار الراوي ورؤاه والتي غداها بالسيرة الهلالية وفق آلية التناص التي أثرت رواية نوار اللوز انطلاقا من أنّ التغريبة قد انزاحت عن معناها الأصلي (الزحف نحو المغرب العربي) إلى معنى دلالي جديد (عبور الحدود بغرض التهريب)، واستقرأ منه لهذه الدلالة المتجددة في مصطلح التغريبة، يرى الباحث وفق معادلته التأويلية أنّ تجربة المعاناة قد مست الشخصيتين (بنو هلال، صالح الزوفري)، حيث "تأتي الشخصية التناصية (بنو هلال) المتولدة من روابط القرابة لتؤكد تماثل التجريبتين على الصعيد التاريخي:

بنو هلال: الجوع ← التهريب

<sup>4</sup> تعرف التغريبة الهلالية بأنها الجزء الثالث من سيرة بني هلال، وهي تروي وقائع هجرة الهلاليين من صحراء نجد إلى شمال أفريقيا قبل القرن السادس للهجرة حتى نهاية القرن الثامن، بحثا عن الماء والمرعى، وما تخلل ذلك من حروب وغزوات قادها أبو زيد الهلالي وأبناء الحسن بن سرحان؛ مرعي يونس ويحيى. ينظر: تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، عمر أبو النصر، 1971م، بيروت، دار عمر أبو النصر وشركاؤه للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص 05.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 132.

<sup>3</sup> عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري (دراسات حول خطاب المروييات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص 20.

صالح : الجوع ← التهريب<sup>1</sup>

من الواضح أنّ الباحث رشيد بن مالك سلط الضوء على الشخصيات المرجعية (التاريخية والتناصية) وكيفية توظيفها داخل الرواية، من خلال ما ولدته من دلالات جديدة في نص روائي جديد، ما جعل هذا النص يربط الواقع بتاريخ وتراثٍ ثرٍ بالمعاني، لأنّ الراوي يجعل من (نابليون، التغريبة) مصدر إلهام لشخصياته قصد معالجة واقع جديد، وفق ما سمّاه الناقد سعيد يقطين "المعارضة" قائلا: "ركّز واسيني الأعرج تعلقه ب(السيرة) كنوع سردي له ملامحه الشعبية، وحاول التفاعل معه بطريقة خاصة، لا تقف عند حدّ المحاكاة أو التحويل، ولكنه تجاوز ذلك إلى المعارضة"<sup>2</sup>، وهو ما انبرى له بن مالك بدءاً من تأويله للعنوان الفرعي "تغريبة صالح بن عامر الزوفري" وما شكله من صدى داخل بناء الرواية، وتشكل المصاهرة بين الماضي والحاضر من أجل ولاد نوار اللوز وإضفاء صبغة تجديدية على مستوى الكتابة الروائية المعاصرة.

#### الشخصية المرجعية الذاتية:

يتّضح من خلال التصنيف الذي أقامه الباحث رشيد بن مالك للشخصيات تنوعاً وثراء لها داخل بنية رواية نوار اللوز ما ساهم في الرفع من قيمتها الفنية، خاصة وأنّ هذه الرواية تحاكي واقع القارئ الاجتماعي، ومن سمات هذا الثراء يرصد الباحث الشخصية المرجعية الذاتية التي يرى فيها "كائناً ورقياً لا يتحقق إلا من خلال ذكريات الراوي أو ما يسند له من دور أو برنامج سردي في متن

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 132.

<sup>2</sup> سعيد يقطين، الرواية والتراث السردية (من أجل وعي جديد بالتراث)، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص 49.

القصة، فهي لا تشتغل سوى بالمرجعية الذاتية، ولا تحيل في تناميها إلا على نفسها<sup>1</sup> وتبرز من خلال الملفوظ السردي، حيث يسعى الراوي إلى استنهاض ماضيه واستدعائه في هذه الشخصية وربطها بتجاربه الشخصية، حيث تمثل الذات مرجعا مهما للروائي واسيني الأعرج، ثم إنّ "الرواية الجزائرية في معظمها، إن لم تكن كلها روايات مادتها الأساسية سيرة الكاتب الذاتية في صورة واقع يتم الانفصال عنه تدريجيا في عالم الخيال الأرحب ثم العودة إلى هذا الواقع ثانيا"<sup>2</sup> وفق ما يتناسب مع رؤى السارد وواقعه الجديد، حيث يرصد لها شبكة علائقية تنسجم مع باقي الشخصيات الروائية ووظائفها ما يؤسس لبنية متكاملة للرواية.

تأسيسا على التصنيفات التي وضعها الباحث، نجد أنّه يحاول الإحاطة بالشخصيات المرجعية من داخل المتن (الشخصيات التاريخية / التناصية) ومن خارجه (الشخصيات المرجعية الذاتية) انطلاقا من مفهوم المرجع الذي ساعد رشيد بن مالك في رصدها ومن ثم تأويلها ببراعة، ذلك أنّ "شخصية الرواية تولد فقط من وحدات المعنى، ولا تتشكل سوى من الجمل التي تلفظها لحسابها"<sup>3</sup> لتتضافر الشخصيات المرجعية من الخارج والداخل وتشكل النسيج الدلالي لرواية نوار اللوز، والذي يتطلب مخزونا ثقافيا من القارئ ومعرفة حقيقية.

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 135.

<sup>2</sup> أحمد حميدوش، السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، ملتقى إشكالية الأدب في الجزائر، 26-28 أبريل 2005م، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006م، ص 39.

<sup>3</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 135.

الشخصيات الغائبة والشخصيات الحاضرة:

يعد الزمن السردي تقنية متعددة المهام داخل النص الروائي، وهو ما نلمسه في رواية نوار اللوز، إذ نجد له "أهمية خاصة .. إنه لا يمثل خلفية للأحداث فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح عنصرا فاعلا ومحددا للعناصر الأساسية التي تشكل العمل الروائي: التي يحملها خطاب الرواية، وأحداث القصة المروية، وسلوك شخصيات الرواية"<sup>1</sup>، حيث تعمل هذه التقنية على فرز الشخصيات من خلال الغياب والحضور، فالباحث وبلاستناد إلى مقولات جيرار جينيت حول مفهوم الزمن السردي رأى أنه "يمكن أن نقوم بتصنيف للشخصيات ميز فيه بين الشخصيات الخارجة عن القصة ( الغائبة ) extradiégétique، الشخصيات الداخلية في القصة ( الحاضرة ) intradiégétique<sup>2</sup>، ثم عمد إلى تحليلها من خلال إبراز تموضعها داخل المتن، وتحديد مميزاتها ووظيفتها، ورصد أمثلة لكل شخصية وتقديم الملفوظ السردي الخاص بها، ولتسهيل قراءتها وضعنا جدولا تفصيليا يوضح كيف استقرأ الباحث الشخصيتين:

تصنيف الشخصيات باعتبار الزمن (وفق مقولات جيرار جينيت)<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد ( دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 150.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 135، 136، 137، 138.

الشخصيات الحاضرة	الشخصيات الغائبة	
تموضع هذه الشخصيات في حاضر القصة.	تشتغل هذه الشخصيات الخارجة عن إطار الزمن الحاضر للقصة بالسابقة analepse.	موقعها في السرد.
- الحضور القليل. الغموض في أغلب الأحيان. لا تملك برنامجا سرديا. أوصافها قليلة جدا.	الحضور القليل. غياب برنامجها السردى.	المميزات
تختلف وظائفها من شخصية إلى أخرى (إبراز مظاهر الحياة الدينية عند العرب، تقصي أخبار المهريين وإيذاعها للناس).	وظيفتها تمثل بالنسبة للشخصيات الحاضرة ماضيها وتكمل معالمها وتفسر وضعيتها الراهنة. تضمن للقصة التواصل بين الماضي والحاضر، وتلعب في النهاية دور المخبر.	الوظيفة
القول (الحكواتي).	المسيرية، لخصر، والإمام.	مثال

<p>يا السامعين. وقلوبكم كبيرة. عبد الله ولد يامنة قتلته الديوانة.</p>	<p>وسط متاعب الوحدة، صدقيني يا المسيردية أني حين أجوع أتذكرك بعمق حنان.</p>	<p>الملفوظ السردي</p>
---	---	-----------------------

### 3- آليات تحليل أسماء الشخصيات في رواية نوار اللوز:

إنّ فهم بنية الشخصية في الرواية يعتمد على ما تنتجه من دلالات وأفكار داخل النص كونه محور العمل الروائي، وهذا يعتمد بالأساس على طريقة تقديمها للقارئ قصد استمالاته بقوة إليها وما يحيط به من وظائف وعلاقات، ذلك أنّ الراوي لا يقدم شخصيات روايته على طبق بل يسعى إلى استشارة ذهن المتلقي وامتحان كفاءته حتى يكون فاعلا تجاه مختلف الشخص، ويرى الباحث بن مالك أنّ من أدوات التقديم لدى الراوي توظيفه لجهاز اسمي خاص بشخصيات عمله الروائي، كما يستند على مفاهيم الناقد كورتيس أثناء التعامل مع هذه الأسماء انطلاقا من أنّها "ليست في البداية سوى سناد ( يحيل عليه في الغالب اسم "علم" مفتقد إلى مضمون دلالي واضح) فارغ، يسند له الكاتب تدريجيا وعلى امتداد الرواية بعض الوظائف (أو الأفعال) / أو تأهيلات يأخذ البطل من خلالها شكلا ويتحدد"<sup>1</sup> دوره المحوري داخل هذه الرواية.

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 138.

تبرز أهمية الأسماء في رواية نوار اللوز من خلال ما تحيل عليه من معان عميقة في بعدها الاجتماعي، حيث يمثل "نظام التسمية système de nomination ظاهرة فريدة من نوعها في الرواية الجزائرية من حيث هيمنته، وغناه الدلالي، وتشبيته لدور الشخصية الموضوعاتي المؤثر في سلوكياتها وأفعالها"<sup>1</sup> يساعد المتلقي في فهم وظائفها والتفاعل معها وتفسير الأحداث من حولها، وهو ما استدعى من الباحث فحص أسماء الرواية واستكناه دلالاتها وإيضاح التواشج بينها وبين عوالم نوار اللوز، فالأسماء في هذه الرواية مختارة بعناية فائقة لتجانس مع وظائفها.

يجد الباحث تنوعا في الأسماء ما يعكس ثراءً وظيفيا للشخصيات ما يمنحنا ثراءً دلاليا خاصة "إذا كان الاسم الموضوع من صنع فعل جماعي، فإننا سننظر إليه من المنظور الاجتماعي، ونعتبره دليلا اجتماعيا بامتياز وذلك لتقيد الروائي، عموما، بالشفرة الاجتماعية وارتكازه على قواعد التسمية في المجتمع"<sup>2</sup> الجزائري الغني بثقافته وتقاليدته الخاصة في الاصطلاح الاسمي، وهو ما شكل لواسيني الأعرج رافدا اجتماعيا غزيرا بالمعاني، زواج من خلاله بين الواقع المجتمعي وخياله الواسع أثناء صناعته للشخصيات وتصويرها انطلاقا من بيئتها الاجتماعية الفريدة، فهذا التآلف بين ثنائيتي (الخيال/المجتمع) قد حقق لرواية نوار اللوز هويتها الخاصة وانتماءها للمجتمع الجزائري.

بعد هذا البسط المنهجي التوجيهي الذي قدمه الباحث حول نظام التسمية في رواية نوار اللوز، واعتماده على البعد الاجتماعي لفحص الكمونات الدلالية لأسماء الشخصية وأبعادها داخل المتن الروائي، عمد إلى تصنيف الشخصيات تبعا لمكانتها داخل المجتمع و"انتمائها الطبقي (فئة غنية، فئة

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 139.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 139.

## الفصل الثاني: سيمياء الشخصية في الخطاب النقدي الجزائري

وسبطة، فئة فقيرة). وفي صلب هذا الانتماء، يتصدر المكون الاسمي مكانة تخضع لمعايير النسب والمهنة، المركز الاجتماعي والانتماء الجغرافي<sup>1</sup> والذي يتماشى مع السياق العام للرواية، حيث نلاحظ استقراء دقيقا وشاملا من طرف الباحث للشخصيات المتواترة في المتن وفحصها ثم تصنيفها وفق الجدول أدناه، وهذا ينم عن نظرة سيميائية ثابتة للباحث وجهد كبير أثناء تفعيله لأدواته الإجرائية السيميائية لقراءة الرواية.

الجدول: 1

التسميات	اللقب	الاسم	الاسم الموضوع	الاسم العام
الفئات				
الفئة الغنية	ولد القايد البختاوي ولد السي لخضر	الميلود	السبايبي	السماصرة والتجار/ أولاد لاليجو / بني كلبون / الرجال القديرون / أولاد

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 140.

الكلمة / ابن القحبة				
	النمس وحش الخلاء الكتاتيبي الديوانة	موح		الفئة الوسيطة
	الزوفري بوحلافي القهبواجي السكايري المسيردية	صالح ← عمر ← احميدة ← عبد الله ←	ابن عامر ←	الفئة الفقيرة

وباعتبار أنّ الأسماء تحمل دلالات سيميائية عميقة داخل كيان نوار اللوز، انتقل الباحث من التصنيف العام (الطبقي) لهذه الشخصيات إلى قراءة تفصيلية أكثر عمق تجلت في عشر صفحات (141، 150)، فهو يرى في مختلف التسميات مفاتيح هامة تساعد في الإحاطة بالشخصيات وشبكاتها العلائقية داخل الرواية والتي تمثل جزءا أصيلا من البنية السردية لها، حيث انبرى الباحث

لبعض أسماء الشخصيات المتواترة في الرواية والموزعة عبر الفئات الثلاث (غنية، وسيطة، فقيرة) من خلال أصل التسمية في الثقافة الجزائرية، وكيف اقترنت هذه التسمية بالدور الموضوعاتي الموكل لها من طرف الراوي، وبرناجه السردي، ليصل إلى دلالات الاسم المبتوثة في ثنايا المتن الروائي، كل هذه النقاط المهمة سنستعرضها بإيجاز على النحو الآتي:

- السبايي من الطبقة الغنية، اسم مستوحى من اللهجة الجزائرية، يدل على المضارب في التجارة، دوره الموضوعاتي تجويع الفقراء وإذلالهم، من مدلوله أيضا العلو أمام الفقراء والخضوع أمام أصحاب المال (الملفوظ السردي: سيطمح في تركيع القرية بكاملها مثلما كان يفعل أبوه)

- الديوانة من الطبقة الوسيطة، مشتقة من الكلمة الفرنسية douane أي وظيفة جمركية دوره الموضوعاتي مراقبة البضائع عبر نقاط الحدود (في الظاهر) غير أنها أداة لقمع الفقراء والتعاطف مع الأغنياء، تعكس سيم الحيوانية واللا إنسانية والعداء (الملفوظ السردي: يجد لذة كبيرة في إيذاء الناس).

- صالح بن عامر الزوفري من الطبقة الفقيرة، الزوفري مستوحى من الذاكرة الشعبية للدلالة على الوحدة والعزلة والإقصاء وكل أصناف العذاب دوره الموضوعاتي البطولة

وامتهان التهريب، (الملفوظ السردى: سنضطر تحت ضغط الجوع... أن نهاجر إلى الحدود البعيدة)<sup>1</sup>.

في النهاية يمكن القول إنّ المتأمل في هذه القراءة السيميائية يجد أنّ الباحث قد عمد إلى التوفيق بين المتن الروائي وما استدعاه من المنهج السيميائي، دون تمكين لجهة على الأخرى، عبر إقامة علاقة علمية بين رواية نوار اللوز والنظرية السيميائية للوقوف على القيمة الفنية لهذا النص من جهة، والكشف عن الفاعلية التحليلية لهذه النظرية بوصفها خياراً إجرائياً جديداً يختلف عن المناهج التقليدية، كل هذا في إطار المشروع النقدي للباحث رشيد بن مالك الساعى إلى إرساء معالم الدرس السيميائي العربي الخاص.

---

<sup>1</sup> ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 141..150.

## ملحق الفصل:

# السيرة العلمية للباحث

ملحق الفصل: السيرة العلمية للباحث رشيد بن مالك

- رشيد بن مالك ناقد جزائري من مواليد 1956م بواد الزيتون (صبرة) الواقعة في ولاية تلمسان.
- نال شهادة البكالوريا سنة 1977م.
- درس بجامعة تلمسان وتخرج بإجازة ليسانس في الأدب العربي سنة 1981م.
- وجه قبلته نحو فرنسا لإكمال دراساته العليا حيث درس بجامعة باريس III وتخرج منها سنة 1982م بشهادة الدراسات المعمقة في المنهجية بدرجة جيد جدا.
- انتقل إلى جامعة السوربون وفي فيفري من سنة 1984م نال بها شهادة الدكتوراه الدرجة الثالثة ضمن تخصص الأدب الجزائري.
- عاد إلى الجزائر مجددا، وفي جانفي من سنة 1995م ناقش دكتوراه دولة في مجال السيميائيات (السيميائية بين النظرية والتطبيق، رواية نوار اللوز نموذجاً) عن جامعة تلمسان أين نال درجة مشرف جدا .

نشاطاته العلمية والثقافية:

- بدأ العمل أستاذا بجامعة تلمسان في سنة 1983م، حيث انطلق في تقديم محاضرات حول المنهج السيميائي من خلال تحليله لنماذج من الروايات الجزائرية لطلبة قسم اللغة العربية وآدابها.

- بدأ أعماله الترجمة في 30 أكتوبر من سنة 1990م حين ترجم كتاب لجان كلود كوكي (السيمائية مدرسة باريس)، وفي جوان من سنة 1998 قدم دراسته الموسومة ب: إشكالية الترجمة في الخطاب السيميائي المعاصر.
- يُعد عضوا مؤسسا لرابطة السيميائيين الجزائريين التي تأسست بجامعة سطيف في ماي 1996م والتي ترأسها الناقد عبد الحميد بورايو.
- عُيّن سنة 1999م رئيسا لقسم الثقافة الشعبية لمدة أربع سنوات بجامعة تلمسان.
- من الدراسات المهمة التي أجراها حول المنهج السيميائي: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي- انجليزي- فرنسي الذي نشره سنة 2000، كما صدر له كتاب سنة 2001م الموسوم ب: مقدمة في السيميائيات السردية.
- عُيّن في الأول من أكتوبر 2006م مديرا للمركز العلمي والتقني للغة العربية في الجزائر.
- للباحث عديد المداخلات العلمية في الملتقيات الدولية والوطنية، نذكر مداخلته المعنونة ب: قراءة سيميائية لنص ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، ضمن أعمال الملتقى الدولي المقام بدار الثقافة لولاية برج بوعرييج سنة 2002، بالإضافة إلى مداخلات خارج الوطن نذكر منها ما قدمه في الملتقى الدولي الذي أقيم بتونس سنة 2010م حول "المصطلح السيميائي في القواميس العامة"، حيث عنون مداخلته ب: التحليل المعجمي وأهميته في ترقية الصناعة المعجمية.

- للباحث العديد من المقالات التي نشرت في مجلات وطنية، نذكر منها مقاله الموسوم

ب: البحث السيميائي المعاصر (واقع وآفاق) الذي نشر في مجلة البحوث السيميائية

سنة 2011م.

- أطّر رشيد بن مالك العديد من أطاريح الدكتوراه، كما ساهم في مناقشة الكثير من

الدراسات والأبحاث داخل الوطن وخارجه.

# الفصل الثالث: حضور الفضاء في

## الخطاب السيميائي الجزائري

- توطئة

- أولا: الفضاء في الحقل النقدي الغربي.

- ثانيا: الفضاء في النقد العربي المعاصر.

1- نظرة فلسفية حول مفهوم الفضاء

2- مفهوم الفضاء عند العرب

- ثالثا: التجربة النقدية عند عبد الحميد بورايو .

1- الخلفيات المعرفية للخطاب النقدي عند بورايو

2- خطاب الترجمة عند بورايو.

- رابعا: الممارسة التطبيقية في الخطاب السيميائي عند بورايو.

1- سؤال المنهج عند بورايو

2- قراءة في التحليل السيميائي لفضاء رواية الجازية والدرأويش.

الملحق الأول للفصل: السيرة العلمية للباحث.

الملحق الثاني للفصل: حوار مع الأستاذ بورايو (توقيع علي ملاح).

توطئة:

يمثل الفضاء عنصراً فاعلاً في تشكيل بنية العمل الأدبي الشعري منه والسردية، فهو في العمل الروائي يتجاوز الأطر المكانية الضيقة ولا يعد خلفية زمانية محدودة حين يُفقد الأديب سمة الواقعية ويلبسه خياله وأفكاره، فينتقل إلى تنظيم الأحداث داخل الرواية ويحمل على سطحه شبكة العلاقات التي تربطه بالشخصيات بوصفه كياناً فنياً إبداعياً تشكله رؤى الكاتب وتصورات المؤسسة للمعمار السردية، ذلك أنه يساعده من خلال أدواره الجمالية والسردية في خلق المعاني وصناعة الدلالة داخل عوالم الرواية، أما من منظورٍ سيميائي فهو نسق من الرموز المرصوفة بانتظام من أجل إثراء النص وإنتاج المعنى داخله عبر مستويات عدة، قابلة للتأويل من طرف القارئ الذي يرى فيها بنية تواصلية تستبطن الدلالة وتروم قراءة واعية تفك طلاسمه، ولهذا تبوأ هذا الكائن التخيلي مكانة هامة في المقاربات السيميائية أثناء تفكيك البنى السردية من خلال تحليل الوظيفة الرمزية التي يضطلع بها الفضاء في تشكيل المعاني السردية، ومن هنا تظهر لنا قيمة المنهج السيميائي ودوره في الوصول إلى كنه المتن الروائي وتأويله؛ يقول أمبرتو إيكو Umberto Eco: "إنّ التعرف على قصيدة النص هو التعرف على استراتيجية سيميائية"<sup>1</sup>.

وعليه فإنّ الفضاء الروائي بوصفه علامة سيميائية قد فتح آفاقاً جديدة لقراءة النص يماثل في المكانة باقي العناصر السردية ما يستوجب مماثلة في الدراسة والتحليل، لأنّه -سابقاً- "لو التفتنا إلى

<sup>1</sup> أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004، ص78.

محلي المحكي الأدبي للاحظنا أنّ اهتمامهم إلى الآن قد اتّجه على وجه الخصوص إلى البحث في منطق الأحداث ووظائف الشخصيات وزمنية المحكي، فلا وجود لنظرية قائمة في التفضي السردى<sup>1</sup> على وجه الخصوص، غير أنّ هذا الحال لم يدم طويلا لأنّ الرواية الحديثة جعلت من الفضاء عنصرا شديدا التفاعل مع باقي مكوناتها لأنّه يكتسب معانيه من خلال الجسور التي يقيمها الراوي مع عناصر السرد الأخرى على طول مساحة الخطاب الروائي، ذلك أن أحداث الرواية تستوجب فضاء زمكانيا، والشخصيات بدورها لا بد لها من فضاء تتحرك فيه لتؤدي وظيفتها، فالكينونة التخيلية التي يتسم بها هي ما جعل من الرواية الجديدة و"عن طريق الإفادة من المنطق والسيميائيات وسائر العلوم الإنسانية، أصبحت تنظر إلى الفضاء الروائي نظرة جديدة تغنيه وتغتنى به مما أعاد له حضوره على المستوى التحليل والبحث"<sup>2</sup> من طرف الباحث السيميائي الذي يرى فيه أيقونة رامزة تروم التأويل لفهم عوالم النص انطلاقا من دوره الوظيفي في تشكيل الدلالة، ومن أهم النقاد الغربيين الذين حاولوا دراسة الفضاء وبلورة مفاهيم حوله نذكر: كورتيس curtis، غريماس greimas، جيرار جينيت gérard genette، يوري لوتمان youri lotman، أما في المدونة النقدية الجزائرية فيبرز الناقد الفذ رحمه الله عبد المالك مرتاض بالإضافة إلى رشيد بن مالك وعبد الحميد بورايو.

<sup>1</sup> Henri mitteran:le discours du roman، puf écriture، 2édition، 1980، paris، france، p193.

<sup>2</sup> حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص27.

أولاً: الفضاء في الحقل النقدي الغربي:

تعدد الدراسات النقدية حول عنصر الفضاء داخل الأعمال الأدبية ومعها أخذ أبعاداً جديدة في النقد الحديث حيث اختلفت المفاهيم حوله وكثرت التصورات، ذلك أنّ كل ناقد يُخضع هذا العنصر لخلفياته الفكرية الخاصة رغبة منهم لكشف أسراره وسير أغواره، ما أفرز تعدداً في المصطلحات فمنهم من رأى في الفضاء موافقاً للمكان ومنهم من استعاض عنه بالحيز، أو الفراغ، أو المجال، كما أن لكل لغة مصطلحاً خاصاً بها حول الفضاء "ففي اللغة الانجليزية نجد space-place-location وفي اللغة الفرنسية نجد espace-lieu، بينما نجد المرادفات العربية لهذه الكلمات هي المكان، الفراغ، الموقع"<sup>1</sup> وهذا يعكس اهتماماً نقدياً حثيثاً بهذا المكون ما ساهم في الرفع من مكانة الفضاء داخل الإبداع الأدبي، كيف لا والإنسان مجبول بالعيش داخل هذا الفضاء، الأمر الذي يدفعه لكي يصنع إبداعه فيه، ومنه تبرز قيمة هذا الفضاء انطلاقاً من هذا الإبداع الإنساني الذي ينعكس فيه، ولهذا فالبحث في مفهوم الفضاء لم يكن وليد الأمس القريب بل خاض فيه الفلاسفة القدماء من قبل، نذكر منهم: "أفلاطون الذي يرى في الفضاء مكاناً يحوي الأشياء ويقبلها ويتشكل بها، أمّا أقليدس فيعرف الفضاء بأنّه مكان ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق"<sup>2</sup>.

ويبرز في طليعة الباحثين الناقد الفرنسي غاستون باشلارد Gaston Bachelard (1884، 1964) الذي قدم مفهوماً جديداً للفضاء في بحثه الموسوم ب: "جماليات المكان" حيث

<sup>1</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة، د ط، 1980، ص 76/75.

<sup>2</sup> ينظر: باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص 174.

يرى في هذا العنصر جملة من الصور التذكارية التي ترسبت في مخيلتنا، إذ إنّ "المكان الذي يجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تميّز، إنّنا ننجذب نحوه لأنّه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية"<sup>1</sup>، فالفضاء يعادل المكان الجغرافي في نظر باشلار غير أنّه مغلف بطيف من الذكريات التي نسجتها طفولتنا في جوانب هذا المكان ومازالت في خيالنا تمنحنا الأمان كلما تذكرناها وتلفنا بمشاعر الدفء، فالناقد ينطلق من وجهة نظر ظاهرانية يرى من خلالها أنّ الخيال بالنسبة للمكان يلغي موضوعية الظاهرة المكانية، ويقول في نفس الاتجاه ليست الظاهرانية وصف الأعشاش كما في الطبيعة، فتلك هي مهمة عالم الطيور فنحن حين نحلم نصبح ظاهرانيين دون أن نعلم<sup>2</sup>، فالراوي يعتمد إلى ربط صلة وشيجة من خياله الواسع بين عوالم روايته ومختلف مكوناتها (شخص، أحداث، أزمنة) بإمكانة مختارة بعناية منسجمة مع هذه المكونات تتبادل التأثير والتأثير، وهو ما ركز عليه باشلار الذي يصرّ على قضية تلازم الزمان والمكان في الخطاب السردي، من خلال كتابيه: جمالية المكان وجدلية الزمان، عندما يرصد التوافق البطيء بين الأشياء والأزمان، بين فعل المكان في الزمان وردّ فعل الزمان على المكان، أي أنّ الزمان يترك علاماته على المكان، وأنّ المكان عبر تحولاته

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1990، ص 31.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 10-11.

يدل على وتيرة الزمان<sup>1</sup> داخل طيات العمل الروائي وبمختلف تعالقاته مع الحدث الروائي والشخصيات والزمن التي تساهم وفق انساجها في تجسيد رؤى الراوي وأفكاره.

أما في حقل السيميائيات فالفضاء يمثل بنية رامزة تأخذ قيمتها ودورها داخل بيئة أشمل هي الرواية، تُمد الراوي بكمونات دلالية غزيرة وتمنح القارئ إمكانات تأويلية هائلة، ذلك أنه يمثل "استراتيجية تأويلية في جوهرها، حتى وإن كانت في الأصل والأساس تكوينية وملتحمة ببناء النص"<sup>2</sup> وحتى يكون التأويل دقيقا وجب ربطه مع باقي بنيات الرواية كالشخص والحدث لتساهم فيما بينها في تشكيل دلالة السرد، ما يستوجب قراءة سيميائية ضمن منظومة متكاملة، أي أنّ الفضاء الروائي بمختلف تعالقاته يوفر "إطارا تصوريا، تصبح العلامات فيه مفهومة، أي أنّها أدوات تفسيرية تستخدمها الجماعات أو التجمعات التأويلية"<sup>3</sup> في إنتاج المعنى، وهو ما استمال الباحثين إلى دراسته وتقديم مفاهيم دقيقة حوله ومعهم أخذ مصطلح الفضاء أبعادا جديدة في الخطاب النقدي المعاصر فالفرنسيون وانطلاقا من الوظيفة الرمزية لهذا المكون عمدوا إلى استخدام مصطلح (Espace) كمقابل للمكان الذي تقع فيه أحداث الرواية، حيث "يركز الباحثان غريماس وكورتيس على مفهوم الفضاء (Espace) بوصفه مصطلحا يستعمل في السيميائيات بمفاهيم متعددة، نظرا لدورها

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم صالح، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003، ص 8 - 9.

<sup>2</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000، ص 33.

<sup>3</sup> دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، تر: شاكر عبد الحميد، منشورات أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002، ص30.

الوظيفي في تشكيل الدلالة"<sup>1</sup> داخل الخطاب السردي، حيث يتجاوز هذا المكان العالم المادي إلى عوالم لا مادية تخيلية - كما أشار إلى ذلك جيرار جينيت - فيقدم لنا هذا الفضاء التخيلي المزيد من الدلالات ومعها تتعدد القراءات والتأويلات، وانطلاقاً من المنظور السيميائي فإنّ التحديدات الفضائية "لا تخضع في مجملها لأي إكراهات واقعية، فهي محكومة بقواعد تعد من صلب النص ومحددة وفق المرجعية الداخلية التي تنظر إلى النص باعتباره حاملاً لكون قيمي"<sup>2</sup> يصنعه الراوي وفق خلفياته وخيالاته، "ولقد نبّه رولاند بورنوف (roland bourneuf) إلى القيمة الرمزية والايديولوجية المتصلة بتجسيد المكان، وإلى ضرورة دراسة هذا الجانب، باعتباره وجهاً من وجوه دلالة المكان"<sup>3</sup> والفضاء بشكل أشمل.

ورغم أنّ غريماس لم يول اهتماماً كبيراً بعنصر الفضاء إلا أنّ له إشارات مهمة حوله رغم أنّها لم تتبلور بشكل كاف لتصبح نظرية، إذ "التفت الأنظار نحو الاهتمام بالفواعل وأفعالها دون أن يشيّد معمار الصرح الزماني والمكاني على ركائز صلبة ومتينة، ويكفي أن يكون مؤلف غريماس الذي هو عبارة عن دراسة تطبيقية لأقصوصة (الصديقان) "لوبياسان" \* الذي يتبين فيه معمار ذلك الصرح ،

<sup>1</sup> عبد الله توام، دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية (رواية "الآن .. هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجاً)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2016، ص 17.

سعید بنكراد، السيميائيات السردية، ص 138.<sup>2</sup>

<sup>3</sup> حميد حميداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص 70.

حينما وظّف وحدات لفظية للزمان مثل: سابق/لاحق، ماضي/حاضر، وبالطريقة نفسها خصص للفضاء وحدات لفظية مثل: قريب/بعيد، منبسط/مرتفع، طويل/عريض، منفتح/منغلق"<sup>1</sup>، فهذه التقاطبات\* وفق المنظور اللساني تساهم في خلق المعنى وإنتاجه ذلك أنّ هذه الثنائيات الضدية هي التي تجمع بين عناصر متعارضة تسهم في تجلي القيم الثقافية والاجتماعية والأخلاقية المرتبطة بالفضاء المشكل داخل المتن، ورغم ذلك فإنّ هذه الومضات الخافتة حول هذا المكون لم ترق لدى غريماس إلى نفس الاهتمام الذي لاقته باقي العناصر البنائية الأخرى، فالفضاء مؤطر للمادة الحكائية بصفة عامة كما أنّه وعاء لهذه العناصر السردية التي احتلت الصدارة في اشتغاله السيميائي الذي - من المفروض - يدرس جميع الأنساق العلاماتية سواء كانت لغوية أم غير لغوية.

ورغم هذا الزهد من غريماس إلا أنّ له تقسيمات حول التفضية السردية انطلاقاً من مرجعيته اللسانية السيميائية، فمن خلال دراسته (Maupassant la sémiotique du texte pratique) التي نشرها عام 1976م حيث أبرز فيها أهم أطروحاته السيميائية على ما يقرب من ثلاثمائة صفحة، وقد ضمنها غريماس تقسيماته للفضاء الروائي، وهي كالاتي:

\* دراسة تطبيقية لغريماس عنونها "صديقان" نشرت في مؤلف مستقل تقوم على تطبيق مبادئ نظريته على أقصوصة من أقصوصات "موبسان" تحمل العنوان المذكور، إذ تمتد على ما يقرب من ثلاثمائة صفحة، ومن حيث قيمة التحليل فيها ذلك أن صاحبها وظّف فيها أهم مقولات النظرية ومصطلحاته، متشعبة بحيث يصعب فك رموزها على المبتدئين. ينظر: مُجدّ الناصر العجيمي، في الخطاب السردية (نظرية غريماس gremas)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991، ص 10.

<sup>1</sup> نادية بوشفرد، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردية، ص 111.

\*\* القراءة الكفيلة بالكشف عن دلالة الفضاء الروائي ستبني على إقامة مجموعة من التقاطبات المكانية polarités spaciales التي التي أظهرت الأبحاث أن هناك عددا كبيرا منها يمكن العثور عليه في كثير من النصوص، وتأتي تلك التقاطبات عادة على في شكل ثنائيات ضدية تجمع بين قوى أو عناصر متعارضة بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الاحداث. ينظر: حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 33.

- الفضاء الخارجي (espace hétérotopique): ويقصد به المكان الذي تجري فيه أحداث الرواية، حي يحدّد فيه نقطة البداية ونقطة النهاية لفعل البطل في الخطاب السردي.

- فضاء الفعل (espace topique): والذي ينقسم إلى قسمين أيضا:

1- الفضاء الجانبي (espace paratopique) : يتجلى في المكان الذي يتم فيه

اكتساب الكفاءة، كما يمارس داخله الاختبار التأهيلي والاختبار التمجيدي.

2- الفضاء الوهمي (espace utopique): يتمثل في المكان المتعلق بتأطير الاختبار

الرئيسي ، ويكون وهميا لأنّه غير محدد، ولا يتعلق بمكان معين.

ويمكن تلخيص هذه التقسيمات - وفق وجهة نظر الباحثة نادية بوشفرة - التي وضعها غريمانس

للفضاء في الجدول الآتي<sup>1</sup>:

الحالة الابتدائية	تحقيق الانجازات			الحالة النهائية
فضاء خارجي	فضاء جانبي	فضاء وهمي	فضاء جانبي	فضاء خارجي
	اختبار تمجيدي	اختبار رئيسي	اختبار تأهيلي	

<sup>1</sup> ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص115.

والملاحظ في هذه الدراسة أنّ غريماس وضع المكان كمقابل للفضاء ذلك "أنّ المكان الروائي هو الذي يستقطب جماع اهتمام الكاتب وذلك لأنّ تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكيم وتنهض به في كل عمل تخيلي"<sup>1</sup> رغم أنّ الزمن يلازم المكان إذا تعلق الأمر بالحدث الروائي، وقد لاحظ رشيد بن مالك في معرض دراسته للنظرية السيميائية الكثير من النقائص المتعلقة بالبنيات الزمانية والفضائية في سيميائيات غريماس، وقد سار الباحث قادة عقاق في نفس الاتجاه أثناء قراءته لأطروحات غريماس وجهازه المفهومي والإجرائي من خلال بحثه الموسوم ب: مآزق السيميائية حيث أبرز في حزنه الأول جملة من الانتقادات حول التشاكل والمربع السيميائي والبنيات الزمانية والفضائية، كما أنّ الباحث يقر بأنّ الدراسة السيميائية قد حققت للرواية تراكما معرفيا ومنهجيا مع عدة دارسين بعد غريماس لا يستهان به .."<sup>2</sup>

ورغم أنّ الفضاء الروائي يمثل جوهر الخطاب السردي إلا أنّه عانى التهميش في الأبحاث السيميائية حسب رأي الناقد هنري متران (Henri Mitterand)، ذلك أنّ موضوع الفضاء في الأدب لم يفرد له دارسو السرد إلا أبحاثا قليلة، وهم الذين سبروا أغوار الحدث الروائي ووظائف الشخصيات بالإضافة إلى الزمن؛ يقول الناقد: "لا وجود لنظرية مشكلة من فضائية حكاية، ولكن هناك فقط

<sup>1</sup> حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمن - الشخصية)، ص 29.

<sup>2</sup> قادة عقاق، مآزق السيميائية (قراءة نقدية في جهازها المفهومي والإجرائي)، ص 74.

مسار للبحث مرسوم بدقة، كما توجد مسارات أخرى على هيئة نقط متقطعة"<sup>1</sup> وهذا الأمر يعزوه إلى جمود المكان وثباته، على عكس الشخصية التي تتمتع بجركية وديناميكية داخل الرواية وبفضل شبكة علائقية قوية مع مختلف الأجزاء المكونة للنسيج الحكائي.

ومن التصورات المطروحة في النقد الغربي حول الفضاء الروائي ما جاءت به الناقدة جوليا كريستيفا (julia kristiva) حيث تنظر إليه انطلاقاً من رؤية الكاتب المهيمنة على تفصلات الرواية ومكوناتها، فالفضاء كمنظور أو رؤية ( l'espace comme une perspective ou vision) على صلة وشيجة مع "العالم الروائي بما فيه من أبطال وأشياء، وكل ذلك يبدو مشدوداً إلى محركات خفية يديرها الكاتب وفق خط مرسوم، وهذا يشبه ما يسمى برواية رؤية الراوي أو المنظور الروائي"<sup>2</sup>، فالفضاء في هذا المقام لا يعدو رؤية تتشكل من رؤى الروائي الخاضعة لإيديولوجيته الخاصة، ومن تصوراتها أيضاً معادلة الفضاء للمكان أو ما يسمى بالفضاء الجغرافي ( L'espace Geographique) والملاحظ أنّ الناقدة لما تحدثت عن "الفضاء الجغرافي لم تجعله -أبداً- منفصلاً عن دلالاته الحضارية .. انطلاقاً مما تسميه اديولوجيم العصر (Idiologéme) والايديولوجيم هو الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور ولذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس دائماً في تناصيته، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة"<sup>3</sup> لأنّ الراوي يكسر به حجب الأمكنة الجغرافية قصد خلق أشكال من المعاني تحمل رؤاه التي تعبر عن

<sup>1</sup> حميد حميداني، بنية النص السردي ( من منظور النقد الأدبي)، ص 53.

<sup>2</sup> ينظر: مُجدّ عزام، شعرية الخطاب السردي، ص 73-74.

<sup>3</sup> حميد حميداني، بنية النص السردي، ص 54

الواقع المعيشي وما يفرزه من تحاذبات فكرية وصراعات إيديولوجية، انطلاقاً من "أنّ النص ليس نظاماً لغوياً، كما يزعم البنيويون، أو كما يرغب الشكلازيون الروس، وإنما هو عدسة مقعرة لمعاني ودلالات متغايرة ومتباينة ومعقدة في إطار أنظمة اجتماعية ودينية وسياسية دائمة"<sup>1</sup> وذلك في إطار التواصل اللساني مع الواقع الاجتماعي الذي نادى به جوليا كريستيفا للمساعدة تحليل الرمز واستنطاق النصوص الإبداعية.

وفي ظل هذا العجز - حسب أغلب النقاد الغرب والعرب- التنظيري لعنصر الفضاء، إلا أنّ الصياغات النظرية السيميائية وما تملكه من صرامة منهجية ومرونة في أدواتها الإجرائية تبقى الأكثر نجاعة في مقارنة الفضاء الروائي كعنصر سيميائي يكشف من خلاله عن أسرار المعنى داخل النص وتحقيق قراءة تأويلية حقيقية.

---

<sup>1</sup> فؤاد منصور، حوار مع جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي، ع: 18، 1982، بيروت، ص122.

ثانيا: الفضاء في النقد العربي المعاصر:

1- نظرة فلسفية حول مفهوم الفضاء:

عاش الإنسان العربي في تماس مع فضائه الرحب، فكانت نظرتة ساذجة تجاه البيئة التي تحيط به وما فيها من ظواهر طبيعية، فهي نظرة تعكس بساطة حياته وهو ما نجده في الشعر الجاهلي الذي يبرز العلاقة الوطيدة بين الشاعر ومحيطه حين يبدأ قصيدته بالمقدمة الطللية التي تفيض بمشاعر جياشة تجاه مرابعه الأولى التي انطلق منها.

ومع تطور التفكير العقلي لدي الفلاسفة العرب بدأ يتبلور عندهم مجموعة من الرؤى حول الفضاء خاصة ما استخلص من الفلسفة اليونانية، حيث يبرز الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (185-256هـ) الذي تلقف الكثير من المفاهيم الفلسفية اليونانية حول الفضاء، يقول: "إذا زاد الجسم أو نقص أو تحرك فلا بد أن يكون ذلك الجسم في شيء أكبر من الجسم ويحوي الجسم، ونحن نسمي ما يحوي الجسم مكانا، والفراي يقتدي بالكندي في مفهومه للمكان وإقراره بوجودانيته ويتكئ على مفهوم أرسطو للمكان، إذ يرى الفراي أن لكل جسم طبيعي مكانا خاصا، به يتحدد هذا المكان وينجذب إليه"<sup>1</sup> وهو رأي يتوافق فيه الكندي مع أفكار أرسطو، فالإنسان بفطرته يأنس داخل فضائه الذي يعيش فيه، ويرنو دائما إليه ذلك أنه يمثل له عالم الوجود.

<sup>1</sup> باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص 172.

ومن مفكري الإسلام الذين تبنا مصطلح الحيز الذي يوافق مفهوم المكان نذكر المفكر أبو الحسن الأمدي (551-631هـ) "أما الحيز فعبارة عن المكان أو تقدير المكان، وأما الخلاء فعبارة عن بعد قائم لا في مادة من شأنه أن يملأه"<sup>1</sup> وهو مفهوم مستقى من عند ديموقراطيس الذي يرى في كل حركية الجزئيات تتم ضمن هذا الخلاء، أما الرأي الجامع عند الفلاسفة الإسلاميين في نظر الإمام أبي حامد الغزالي (450هـ-505هـ) حول حقيقة المكان ما خلص إليه الفيلسوف أرسطوطاليس، يقول: "إنه" عبارة عن سطح الجسم الحاوي، أعني سطح الباطن المماس للمحوي، انطلاقا من أربع علامات على النحو التالي: الجسم ينتقل بين الأماكن، المكان لا يجتمع فيه اثنان، الفوق والتحت واليمين واليسار لا تكون إلا في المكان، الجسم في المكان لأنه قابل لشيء بعد شيء"<sup>2</sup> فهذه الخصائص المكانية هي التي تشكل الفضاء أما هذا العالم فهو أزلي من صنع الله.

## 2- مفهوم الفضاء عند النقاد العرب:

في ظل الانفتاح النقدي الجزائري على النظريات الغربية بعد النصف الثاني من القرن الماضي، سعى الباحثون في الجزائر إلى إعطاء نفس جديد للدراسات النقدية وتجديد ممارساتها، عبر محاكاة المناهج النسقية الغربية والاحتفاء بها تنظيرا وتطبيقا، والنهل من مفاهيمها ومصطلحاتها وأدواتها الإجرائية، فمن المفاهيم التي استعارها الناقد الجزائري ضمن الحقل السيميائي يظهر مصطلح الفضاء الذي تم توطينه في النقد العربي بما يتوافق مع الخصوصية الثقافية للتراث العربي، باعتبار هذا المصطلح

<sup>1</sup> عبد الحميد خطاب، إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي، حوليات جامعة الجزائر، العدد 12، ص 17.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الحميد خطاب، إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي، ص 18-19.

نسقا رمزيا ثرا يحمل في طياته كمونات دلالية هائلة يعبر بها الكتاب عن العلاقة الوطيدة بين الفرد الجزائري وبيئته التي يعيش فيها بعد أن وفد هذا المفهوم إلى بيئتنا كمعطى نظري ولد في بيئة مختلفة وضمن ثقافة خاصة ومن منطلقات فلسفية غربية.

يبرز الناقد عبد المالك مرتاض في طليعة النقاد الجزائريين الذين اهتموا بالفضاء، فرغم انتصاره لمصطلح الحيز، يظهر عدم ارتياحه لمصطلح المكان في مقارنته السيميائية التفكيكية لرواية زقاق المدق حين اعتمد على هذا مصطلح "من باب التغليب الذي لم نجد له بدا؛ وإلا فإننا لا نرتاح إلى هذه التسمية الجغرافية في النقد الروائي حيث إنّ المكان يصبح قاصرا أمام إطلاقات أخراة أشمل وأوسع وأشسع مثل الحيز أو الفضاء"<sup>1</sup> كما أنه يعارض أيضا مصطلح الفضاء\* المخالف للمعجم العربي ويميل إلى تبني مصطلح الحيز، ذلك أنه يبدو الأقدر على توصيف الأمكنة الجغرافية وغير الجغرافية التي ينحتها خيال الكاتب الواسع ويمزجها بالخرافة والأسطورة، وهو ما يتوافق إلى حد بعيد مع ما المقولات الغربية، يقول مرتاض: "لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابل للمصطلحين الفرنسي والانجليزي: espace-space في كل كتاباتنا الأخيرة"<sup>2</sup> سعيًا إلى تجاوز المفاهيم الضيقة التي يعتمدها القصور إلى رؤية تتسم بالشمولية حتى توأكب السرد في تعقيداته وعوالمه من جهة، ويغدو الحيز بنية سيميائية تأويلية تساهم في فهم النص من جهة أخرى، ذلك أنّ " للمكان

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردى (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)، ص 245.

\* يرى مرتاض أنّ "معظم النقاد في المشرق (كمال أبو ديب - عبدالله الغدامي - وفي المغرب العربي أيضا) يترجمونه إلى الفضاء، وهذه الترجمة لا تفضي إلى كبير معنى في اللغة العربية؛ ذلك بأن الفضاء اتخذ في العربية الجارية مفهوم الجو الخارجي الذي يحيط بنا؛ ومن ذلك غزو الفضاء، والأبحاث الفضائية"، ينظر: عبد المالك مرتاض، أ-ي (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد)، ص 102.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 121.

حدودا تحدّه، ونهاية ينتهي إليها؛ فإنّ الحيز لا حدود له ولا انتهاء؛ فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مُضْطَرَبِهِ كتاب الرواية ... ولا يجوز لأي عمل سردي أن يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو، من هذا الاعتبار، عنصر مركزي في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطاً عضويًا<sup>1</sup>، فهذه العلائقية تُبوّئُه نفس المكانة التي وصل إليها باقي مكونات السرد في الدراسات السيميائية.

ويرى الباحث في دراسته السيميائية التفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد أنّ مفهوم الحيز له القدرة على يكون في الخطاب الشعري فهو حيز شعري " يشمل ذلك بحيث يكون اتجاهها وبعدها، ومجالا، وفضاء، وجوا، وفراغا، وامتلاء، وحظا، في أي شكل من أشكاله الهندسية الكثيرة، إنّهُ يشمل كل حركة تحدث للشخصية الشعرية أو الشخصية المتحركة عبر الأعمال السردية"<sup>2</sup> فهو عالم لا حدود له يستخدمه الكاتب ليفجر رؤاه وخياله داخل الإبداع الأدبي.

بناء على ما ذكرناه، يفرق الناقد عبد المالك بين ثلاثة مصطلحات مختلفة ترد في الخطاب السردية؛ المكان والذي يربطه بكل ما هو جغرافي حقيقي، والفضاء المرتبط بالفراغ والخواء والمجال الخارجي، أما الحيز فكل ما يرتبط بالخيال داخل النص، وقد وردت تظاهرات كثيرة حول مفهوم الحيز في دراساته، نذكر منها:

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 125.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، (أ-ي)، ص 103.

- التحيز<sup>1\*</sup> la spatialisation، بروكسيميكاً\*\* la proxémique، وصف الحيزية (catégories spatiales، المقولات الحيزية، description de la spatialité)

من كتاب: أ-ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد).

- الحيز المتحرك، الحيز الخرافي، الحيز الجغرافي، (من كتاب: ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمل بغداد)

- الحيز النص (من كتاب: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق)

- الحيز الروحي (مقامات السيوطي، دراسة)

إنّ الاهتمام بمصطلح الفضاء الروائي يميلنا إلى دراسات الناقد المغربي حميد حميداني الذي حاول استجلاء مفهوم هذا المصطلح، من خلال رصد في كتابه الموسوم ب: بنية النص السردي (من منظور النقدي الأدبي) مختلف التصورات التي صيغت حول الفضاء في الدراسات الغربية، بيد أنّ هذه الأبحاث المتعلقة بدراسة الفضاء في الحكيم تعتبر حديثة العهد، ومن الجدير بالذكر أنّها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائي، مما يؤكد أنّها أبحاث لا تزال فعلا في

---

\* التحيز هو إنتاج نوع ما من الحيز، أو لكيفية ما، للتعامل مع هذا الحيز وهو المفهوم الذي ينشأ عنه أيضا ذكر ما يطلق عليه في السيميائية la proxémique. عبد المالك مرتاض، أ-ي، ص 101.

\*\* la proxémique وهو حقل لما يتم بعد على ساقبه؛ وغايته هي تحليل أحوال الذوات والموضوعات معا عبر الحيز (نؤثر اصطناع هذا المصطلح -البروكسيميكاً- كما ورد في مصطلحات السيميائيين الفرنسيين في انتظار الاتفاق على مصطلح عربي دال). عبد المالك مرتاض، أ-ي، ص 101.

بداية الطريق، ثم إنّ الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع، هي عبارة عن اجتهادات متفرقة، لها قيمتها<sup>1</sup> في سبيل بلورة رؤية شاملة حول هذا المصطلح تقارب التصورات التي وُضعت لباقي عناصر السرد، انطلاقاً من الدور الكبير الذي يلعبه الفضاء في رسم مختلف العلائق مع الشخصيات والأحداث، وقد حصر الباحث أهم التصورات حول الفضاء فيما يلي:

- الفضاء كمعادل مكاني l'espace géographique

- الفضاء النصي l'espace textuel

- الفضاء الدلالي l'espace sémantique

- الفضاء كمنظور أو كروية

إنّ الرصد الذي قام به الباحث حميداني حول هذا المصطلح قاده إلى التمييز بين المكان والفضاء ولو بشكل نسبي، ذلك أنّ "الفضاء شمولي، إنّّه يشير إلى المسرح الروائي بكامله، والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقاً بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي"<sup>2</sup>، فالأماكن المبتوثة على طول المتن الروائي يلفها الفضاء بشموليته، انطلاقاً من مبدأ الجزء والكل؛ فالمكان جزء والفضاء كلّ "إنّّه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكاناً محددًا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها فإنّ

<sup>1</sup> حميد حميداني، بنية النص السردية ( من منظور النقد الأدبي)، ص 53.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 63.

مجموعها يشكل فضاء الرواية"<sup>1</sup>، فالناقد هنا ينتصر لمصطلح الفضاء دون إقصاء منه لمصطلح المكان الذي يتشكل في الروايات الواقعية كرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ.

فالقصد من هذا التوجه نحو التمييز بين المصطلحين هو السعي إلى مواكبة ما في الرواية الحديثة من تعقيدات وما فيها من علاقات تربط مكوناتها، ولا يأتي ذلك إلا من خلال الفضاء وما يتيح لرسم خيال الأديب ورؤاه، فالفضاء على ارتباط وثيق بمضامين السرد ولهذا وجب "استغلاله إلى أقصى الحدود، فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسط يؤطر الأحداث إنّه يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي ويقترح عالم السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف"<sup>2</sup> التي تكبل رؤى الكاتب في الروايات الواقعية.

ويوافق هذا الطرح الناقد سعيد يقطين الذي فَرَّق بين المصطلحين دون إقصاء مع الميل إلى تبني مصطلح الفضاء قائلا: "واتفق هنا مع ما ذهب إليه حميد حميداني في تمييزه بين المكان والفضاء، وخاصة فيما يتصل بعموم مفهوم الفضاء وشموليته، وخصوصية مفهوم المكان وكونه متضمنا في إطار الفضاء"<sup>3</sup> لأنّ خيال المبدع يتجاوز المكان الجغرافي الضيق، ومن هنا تتجلى قيمة

<sup>1</sup> حميد حميداني، بنية النص السردي ( من منظور النقد الأدبي)، ص 63.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 71.

<sup>3</sup> سعيد يقطين، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1997م، ص 140.

الفضاءات الروائية في تمكين القارئ من تلمس وجهات نظر الروائي عن الإنسان والمكان والحياة بمكوناتها بصفة عامة"<sup>1</sup>.

تُعد الناقدة المصرية سيزا قاسم من أنصار مصطلح المكان، ففي كتابها الموسوم ب: القارئ والنص ترى أنّ المكان "ليس فضاء فارغاً، ولكنه مليء بالكائنات والأشياء... والأشياء جزء لا يتجزأ من المكان، وتضفي عليه أبعاداً خاصة من الدلالة"<sup>2</sup>، ورغم أنّ الكثير من الدارسين انتقدوا ميلها إلى المكان الجغرافي وإهمالها الخيال الأدبي فيه إلا أنّها ترى موطناً للشخصية داخل الرواية فيأنس به ويربط داخله علاقاته ويرسم فيه ذكرياته فالمكان - في نظر الباحثة - يعكس حقيقة الشخصية، ومن جانب آخر، إنّ حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"<sup>3</sup> وجدانياً، فالتوصيف المكاني عند سيزا قاسم لا يمنع تدخل خيال الروائي "يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة"<sup>4</sup> التي تختلف عن المكان في الواقع، وهو ما يؤهله ليكون بنية سردية مكثفة للدلالة داخل الرواية.

<sup>1</sup> ينظر: مرشد أحمد، البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص 209.

<sup>2</sup> سيزا قاسم، القارئ والنص (العلامة والدلالة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص48.

<sup>3</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1980، ص 84.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص74.

ثالثا التجربة النقدية عند عبد الحميد بورايو :

إنّه إذا ما أردنا فهم عملية التلقي للمنهج السيميائي في الجزائر وإلى أي مستوى وصل مشروع التأسيس لخطاب سيميائي خاص، وجب علينا الوقوف عند الجهد النقدي الهائل للباحث الجزائري عبد الحميد بورايو عبر قراءة أعماله قراءة متأنية واعية نروم بها سبر خطواته النقدية التي تراوحت بين تجليات نظرية وممارسات تطبيقية ونقولات ترجمية، كما نسعى إلى الحفر في المرجعيات النقدية التي استند عليها من أجل إرساء مشروعه النقدي.

إنّ المتتبع لمسار الباحث النقدي يجده قد شق طريقه متأثرا بالحدثة الغربية بدءاً من المناهج السياقية، غير أنّه لم يلبث أن وجّه قبلته إلى نظريات جديدة ترفض السياق وتضع النص محور مقارباتها من خلال ما توفره من أدوات إجرائية مرنة تفتح آفاقا عديدة أمام محلي الإبداع الأدبي، وذلك في إطار ما سماه الناقد بورايو "توجهها نحو علمنة الدراسة الأدبية استنادا للمنجزات العلمية للفروع اللسانية ... وقد عرفت الفترة الحالية من تاريخ الدراسات الأدبية نمو مباحث جديدة بالاطلاع، تتميز بالشراء، تدرج ضمن ما يسمى بالسيميائيات، وهي مشروع بحث يعتمد في دراسته النصوص الأدبية على نتائج اللسانيات"<sup>1</sup>، فهذا التوجه الجديد قد شكّل له حافزا للاطلاع على منجزات الدرس اللساني وما انبثق عنه من مناهج، انطلاقا من الاتجاه البنيوي الذي اعتمده في رسالة الماجستير سنة 1978م والموسومة ب: القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية) وقد سوّغ نزعه إلى

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية المعاصرة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص

البنوية والنهل من مرجعياتها قائلاً: "اعتمدت في المرحلة الأولى على عدّة تيارات منهجية منضوية تحت المنهج البنائي وهي: 1- التحليل الوظيفي عند فلاديمير بروب، 2- شعرية النثر عند تزفيتان تودوروف، 3- علم الدلالة البنيوي عند ألجيراد غريماس، 4- منطق السرد عند كلود بريموند... وكنت حينئذ مطلعاً على أهم الدراسات المنشورة لأقطاب المنهج البنائي، المذكورين خلال السبعينيات، سعيت إلى الاستفادة من قراءتي المنهجية، وتمثل جهدي في محاولة تكييف المنهج مع طبيعة نصوص الحكاية الشعبية"<sup>1</sup> الفريدة من نوعها في الجزائر، فهذا التراث الشعبي يحتاج إلى إعادة إحيائه من رميمه من خلال قراءة جديدة تتجاوز النظرة التقليدية التي تتسم بالسطحية.

تتماز التجربة النقدية عند بورايو بالثراء والغزارة حيث عرّج على أهم المناهج الحدائية، غير أنّ المنهج السيميائي يُعد أهم منهج سعى إلى محاكاته ومن ثمّ توطينه في المدونة النقدية العربية، وقد سعى الباحث إلى "تأسيس الحركة السيميائية في الجزائر، بحيث ظهرت دعوته إلى هذا التيار في وقت مبكر من خلال الدروس التي يلقيها على طلبة معهد اللغة العربية وآدابها بجامعة تلمسان في بداية الثمانينيات من القرن الماضي"<sup>2</sup>، ورافق هذه الدعوة جهد بحثي كبير في مجال السيميائيات، أفضى إلى مجموعة من الدراسات التي توجت تأثره بهذا المنهج، لعل أهمها:

- منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة).

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، الحكاية الخرافية بين الدرس البنيوي السيميائي والدرس الأنثروبولوجي عند الدارسين الجزائريين، مجلة التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر - بسكرة، عدد 03، جويلية 2017، ص 463.

<sup>2</sup> عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السرد، دار القدس العربي، الجزائر، د ط، 2009م، ص 120.

- البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري (دراسات حول خطاب المرويّات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة).

- المسار السردّي وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة).

- التحليل السيميائي للخطاب السردّي (دراسة لحكايات من "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة").

وقد شكّلت أطروحات غريماش وتلميذه كورتيس في مجال السيميائيات السردية مرجعيات هامة للباحث في مقارنته النص الجزائري السردّي بمختلف أنواعه، يقول الباحث: "نستمد أغلب أدواتنا المنهجية من نصوص تنتمي في أغلبها لنفس المدرسة السيميائية، والتي يمكننا أن نطلق عليها اسم المدرسة الغريماشية، ذات التوجه الشكليّ، والتي كان لها اليد الطولى في تطوير السرديات (أو علم السرد) منذ الستينيات حتى اليوم"<sup>1</sup> حيث وجد في هذه الأطروحات مُرادَه، فالجهاز السيميائي ثري بآلياته وأدواته الإجرائية ويتميز بالمرونة أمام النص العربي الذي يرفض التعسف في استكناه دلالاته، وهذه القراءة الواعية تستوجب ناقدا حصيفا مثل بورايو الذي كرس جهده لفهم هذه النظرية واستيعابها.

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، المسار السردّي وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص5.

## 1- الخلفيات المعرفية للخطاب النقدي عبد الحميد بورايو:

إنّ قراءة واعية للخطاب السيميائي الجزائري يجده في حزمة نقدية، ذلك أنّه استولى على مساحة واسعة من الدراسات النقدية في بُعديها التنظيري والتطبيقي، ويبرز ذلك في الأعمال المتراكمة للنقاد الجزائريين الذين حاولوا تقديم قراءات جديدة للتراث الجزائري، من خلال توسيع مدارات المعرفة النقدية لديهم عن طريق نقل ما استجد من مناهج إلى الوطن العربي، فهم يرون فيها سندا علما يتيح لهم مفاهيم وآليات إجرائية تصيب كنه هذا التراث وتفك شفراته قصد استجلاء ما فيه من دلالة، غير أنّ هذه النظريات تحتاج فهما عميقا بخلفياتها الإبستمولوجيا ومرجعياتها الفكرية، وهذا ما يعيه الناقد عبد الحميد بورايو الذي اغترف من هذه المصادر على تنوعها قصد الوصول إلى قراءة واعية، وهو القائل: "إنّ معالجتنا لمواد الحكايات الشعبية تسعى إلى تجسيد ثراء طرق تحليل الخطاب الأدبي وتأصيلها وتهيئة الظروف التي تسمح بتراكم العمل التطبيقي والمنهجي من أجل تحقيق مشروع معرفي يسهم في تحقيق حداثة الدراسات الشعبية العربية، باعتبارها حلقة هامة من حلقات الثقافة العربية"<sup>1</sup> التي تتغذى من المنهج النقدي الغربي وتبقى وفية للتراث العربي.

ولعل ما يؤكد أهمية رد هذه المناهج إلى منطلقاتها المعرفية التي بُنيت عليها، الخطوات المنهجية التي قام بها الباحث بورايو في جل مقارباته السيميائية التي قرأناها، فهي خطوات يُسائل من خلالها الأبعاد الإبستمولوجيا لهذه النظرية ما شكل تمثلا منه لمقولاتها التي ترجمها ونجاعة إلى حدّ

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 89.

بعيد في توظيف أدواتها الإجرائية، فالباحث يرى أنّ "تأصيل النظرية من خلال ردها إلى أصولها وروافدها العلمية، وعرض أسسها التي قامت عليها، هدفه في ذلك التعريف بها وتقريبها من أذهان القراء والمتعلمين وممارسي النقد على حدٍ سواء وتيسير سبل استيعابها لديهم عبر تحديد منطلقاتها وضبط أبعادها وأهدافها"<sup>1</sup>، الأمر الذي من شأنه أن يسهم في الإجابة عن أسئلة حيرى تخص المعرفة العميقة للمنهج السيميائي، ويوفر لهم ثراءً في الأدوات والآليات الإجرائية لدى هؤلاء الباحثين، والتي استمدتها الباحثة من مرجعيات متنوعة نلخصها في ست أقطاب هي: فلادمير بروب، ليفي ستراوس، لوسيان غولدمان، ألجيراد غريماس، تزييتان تودوروف، كلود بريمون، فهذا التنوع يشي بأنّ الخطاب السيميائي لدى الباحث لم يكن وليد الصدفة بل تشكل بعمل جبار قام به الباحث عبد الحميد بورايو، والجدول الآتي يبين حضور هذه التيارات في أبرز مؤلفاته<sup>2</sup>:

عنوان الدراسة	المنهج	طبيعة الاعتماد	التيارات المعتمدة
القصص الشعبي في منطقة	مركب	جزئية	بنوية شكلية + سيميائية +

<sup>1</sup> قادة عقاق، السيميائيات السردية وتحليلاتها في النقد المغاربي المعاصر، ص 303.

<sup>2</sup> ينظر: مجّد دقي، الخطاب السيميائي عند عبد الحميد بورايو (المرجعيات وآليات التحليل)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد:13، العدد:02، سبتمبر 2021، ص 27.

بنوية تكوينية			بسكرة
بنوية شكلية + سيميائية + بنوية تكوينية	جزئية	مركب	منطق السرد
بنوية شكلية + سيميائية + بنوية تكوينية	جزئية	مركب	الحكايات الخرافية
بنوية شكلية + سيميائية	جزئية	مركب	المسار السردى وتنظيم المحتوى
بنوية شكلية + سيميائية	جزئية	مركب	التحليل السيميائي للخطاب السردى

انطلاقاً مما سبق، نجد أنّ الباحث قد كلف بهذه المرجعيات على تعددها والتي أسهمت في تأسيس رؤاه النقدية وبلورت قراءته للنص العربي، حيث اعترف صراحة بالاعتماد على أطروحات بروب أثناء دراسته للحكايات الخرافية للمغرب العربي قائلاً: "تأخذ دراستنا في حسابها البحث الشكلاي البنيوي الذي أنجز في هذا المجال، والذي تعود ريادته لفلامير بروب وكلود ليفي

شترأوس وطره كل من جوليان غريماس وكلود بريمون<sup>1</sup>، حيث استقى منه القواعد المتحكمة في بنية الحكاية الواردة في كتابه "مورفولوجيا الحكاية الخرافية" الصادر سنة 1928م، فمقولات الناقد الشكلايني تمثل لبنة مهمة ساهمت في تطور الدراسات البنيوية، ذلك أنّ بروب قد "وضع أسس المنهج البنيوي عندما كشف عن وجود نموذج فريد للبنية الحكائية الخرافية الروسية"<sup>2</sup>، فهذا النموذج قد اتكأ عليه بورايو أثناء الكشف عن البنى التركيبية للقصص الشعبي في منطقة بسكرة وربطها بالبنى الاجتماعية، ويعود "اختيار الباحث لهذا المنهج، ليكون أدواته في تحليل النصوص إلى ما يوفره من وسائل تفتح آفاقا عديدة في دراسة النص، وتكشف عن أبعاده المختلفة، وتمكن من رصد علاقته بمختلف مظاهر الوعي الإنساني، وبالحياة الاجتماعية"<sup>3</sup>.

إنّ التنقيب في هذه الدراسة يبرز حضور المنهج البنيوي فيها على المستوى الإجرائي من خلال توظيف الباحث لكثير من المفاهيم السردية البروبية مثل: الوحدة الوظيفية، المقطوعة، الوظائف، المتتالية، الشخصوس، الأدوار، وهذا ينم عن اقتدار كبير منه في تمثل أطروحات بروب الأمر الذي ساعده في فهم إجراءات الممارسة التطبيقية قصد المضي نحو دراسة القصص الشعبي بنجاعة، حتى أصبحت "حياته العلمية للحكايات الشعبية المغاربية موضوعا، وللدراسات السردية الحدائثة منهجا، بالشكل الذي يجعله حقيقا فلاديمير بروب الجزائري"<sup>4</sup> الذي يراعي طبيعة

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 05.

<sup>2</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 19.

<sup>3</sup> عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 06.

<sup>4</sup> يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 303.

التراث الشعبي قبل تطبيق المنهج، ليتجنب بذلك أيّ تعسف في قراءة هذا التراث ويتفادى إسقاط المنهج عليه إسقاطا آليا يترتب عليه قراءة مشوهة.

ويذهب الباحث إلى أبعد من ذلك أثناء مثاقفته لأطروحات بروب، حيث يخضعها مقولاته للتمحيص ويدون ملاحظاته عليها رغم إدراكه بأهميتها كسند في تحليل النصوص السرديّة، ذلك أنّه يرى في "محاولة فلاديمير بروب v.propp، بقدر ما كان لها التأثير الواسع في مجال التحليل الداخلي للحكاية الخرافية ودراسة مكوناتها المختلفة، لم يكتب لها النجاح في مجال التصنيف، نظرا لشدة اهتمامها بالتنوعات الفرعية للحكاية الخرافية، وإهمالها للأشكال الأخرى المختلفة عنها"<sup>1</sup>، فهو بذلك يؤسس لخطاب نقدي أصيل تحكّمه رؤية توفيقية بين الأصالة والمعاصر، محاولا من خلالها الإفادة من المنهج البنيوي بنوع من الحرية والمرونة حتى يتوافق مع مبتغاه في مقارعة النص العربي، وتظهر هذه الحرية أثناء تحليله لشخصيات الحكايات الخرافية وفق خطاطة بروب حول الشخصية البطل، قائلا: "لقد استعنا بالترسيمة الخطية البروبية، لكننا تعاملنا معها بحرية، بحيث راعينا وجهات النظر المتعلقة بالشخص الأخرى المشاركة في الحدث"<sup>2</sup> داخل الحكاية الخرافية المغاربية، فالباحث لم يلتزم حرفيا بكل ما جاء به المنهج البنيوي بل أضفى عليه لمسته، الأمر الذي جعل من خطابه متميزا أدى إلى قفزة نوعية في قراءة التراث المغاربي بكفاءة إجرائية عالية.

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي، ص 15.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 17.

لقد سعى الباحث عبد الحميد بورايو إلى توسيع خطابه النظري وإثرائه عبر مآخذ متعددة بنى عليها أرضيته المنهجية، استجابة منه للهدف المنشود في تطوير كفاءته الإجرائية للتعامل الأنجع مع التراث العربي "بالعمل على اللحاق بركب المعرفة الإنسانية عن طريق الإحاطة بما جدّ في مجال التعامل مع النصوص الأدبية في الحقبة الحالية من التاريخ، لأنّه لا يمكن تدريس النصوص الأدبية وتجاهل تطور نظريات تحليلها"<sup>1</sup>، ولهذا استوجب عليه التوجه نحو أهم مرجعية ساهمت في تطوير السيميائيات السردية ألا وهو الناقد أليجيراد غريماس وأطروحاته المكتملة لعمل سلفه بروب.

لقد استقى بورايو أهم المفاهيم السيميائية من أطروحات غريماس مرانها عليها لتحليل النص العربي والكشف عن أبعاده الدلالية الثاوية داخل أنساقه الرمزية، فالباحث بذلك يرمي إلى نقل هذه "النظريات الغربية إلى ساحتنا النقدية وبخاصة السيميائية، سواء من خلال تلك الدروس التي دأب على تقديمها بمدرجات الجامعة منذ ثمانينات القرن الماضي، أم من خلال تلك المقالات والمداخلات المنهجية المضبوطة التي ما فتئ يسهم بها في الملتقيات والمناسبات العلمية"<sup>2</sup> قصد تقريبها إلى المتلقي العربي حتى يفهمها على أصولها لينطلق في ممارسة نقدية حقيقية.

يبرز الدور التعليمي الذي لعبه عبد الحميد بورايو في تبسيط المفاهيم السيميائية للطلبة الجزائريين من خلال تقديم تعريفات مبسطة لا تخل بمضمون هذه المفاهيم مع ردها إلى مراجعها الأصلية، حيث يرى أنّ السيميائيات تهتم "بالنص الأدبي باعتباره أحد أنظمة الدلالة المنتجة

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 15.

<sup>2</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 68.

للمعنى، فلا تنظر إليه على أنه مجرد استنساخ للواقع الاجتماعي أو الفردي أو النفسي... تحرص السيميائية على النظر إلى الوحدات الدلالية في سياقها<sup>1</sup> داخل اللغة ودون النظر إلى السياق خارجها، كما أنّ الباحث لا يتوقف عند هذه المهمة التعريفية، بل ينتقل إلى رصد تطور هذه النظرية وتحولاتها المتلاحقة بدءاً من بروب ووصولاً إلى غريماس وطلبته، فهذا الأخير حاول إكمال المشروع السيميائي، فينطلق غريماس من "مفاهيم نظرية في مسألة المعنى، ضمنها كتابيه: "في المعنى" و"الدلالة البنوية"، هادفاً إلى إقامة نموذج عام يقنن التأليف القصصي، باعتباره نظاماً دلالياً، وشكلاً من أشكال التواصل، ساعياً إلى الإسهام في بناء نظرية عامة للسيميائية"<sup>2</sup>، أما ناقدنا بورايو فيبرز مسارات البحث عند الناقلين بروب وغريماس ومواطن الاختلاف بينهما حتى يحيط بالنظرية السيميائية إحاطة شاملة، فيكون توطينه لها توطينا أميناً، فالفضل الكبير في تطور السيميائيات السردية يعود لأبرز ناقلين بروب وغريماس والتقدير الكبير للباحث الجزائري في إرساء قواعد السيميائية داخل البيئة العربية، انطلاقاً من "مبادئ السيميائيات الشكلانية في صيغتها الفرنسية والمسماة عادة بمدرسة باريس"<sup>3</sup> التي أفادت كثيراً الدراسات السردية.

إنّ اللافت للنظر في التجربة السيميائية عند بورايو وفاؤه الكبير لغريماس واتجاهه السيميائي، الذي لا يزال يغريه لحد الآن رغم تبلور نظريات جديدة في تحليل المسرودات، ويتجلى ذلك في الحوار الشيق الذي أجراه الأستاذ علي ملاحى معه في سنة 2009م، حيث يحتفي به وبدوره في

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 16.

<sup>2</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 38.

<sup>3</sup> غريماس وآخرون، المنهج السيميائي الخلفيات وآليات التطبيق، ترجمة وتقديم: عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014م، ص 05.

تأسيس النظرية السيميائية وما وصلته الآن على المستويين التنظيري والتطبيقي بالإضافة إلى ارتباطها بباقي العلوم؛ يقول بورايو: "أما بالنسبة لي يمثل غريماص نموذجا للباحث العلماني الذي كرّس حياته لوضع آليات التحليل السيميائي الشكلاني، ونبه إلى الطبيعة البينية التي تشغلها السيميائيات في علاقتها بمختلف العلوم الاجتماعية"<sup>1</sup>، ذلك أنّ هذه العلوم أصبحت في حاجة إلى أدوات تحليل تساعد في فك الرموز في بعدها الاجتماعي والثقافي، فهذا الجهد الغريماصي وشمولية رؤاه السيميائية ألهم بورايو وجعله يسعى للحاق بركب التيار السيميائي رغم كل العوائق، والإحاطة بمصطلحاتها رغم صعوبتها، فجنده يذلل ذلك للقارئ العربي ليفهمها، ومن أمثلة ذلك تمييزه بين مصطلحين أحدثا الكثير من الانقسام في الساحة العربية، حيث يفرق الباحث بين السيميولوجيا والسيميائيات، فقد "استخدمت الدراسات السيميائية المصطلحين معا، ويميل الباحثون إلى استعمال مصطلح السيميولوجيا للدلالة على تاريخ علم ومبادئه النظرية وروافده في العلوم الأخرى، أما السيميائيات أو السيمياء فتستعمل للدلالة على الحقول التطبيقية"<sup>2</sup>، وعموما فالدرس السيميائي يعني بدراسة الرمز الذي ينتج المعنى في النص وفق آليات يلخصها الباحث فيما يلي:

- الاعتناء بمستويات الدلالة وبالعلاقات فيما بين عناصرها.
- رصد طريقة تولّد المعاني من أدنى المستويات إلى أعلاها.

<sup>1</sup> علي ملاح، حوار مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو، مجلة التبیین، العدد 33، نوفمبر 2009م، ص 153.

<sup>2</sup> علي ملاح، حوار مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو، ص 153-154.

- الاعتناء بمادة النص أثناء التحليل دون مراعاة لكتابها أو ظروف إنتاجها<sup>1</sup>.

فالباحث بهذا الصنيع يثري الساحة النقدية الجزائرية بمكتسبات معرفية حول النظرية السيميائية على مستويات عدة، فبعد المهاد النظري الذي يقدمه مفاهيمها ومصطلحها يعرض كفاءته الإجرائية في مقارعة النصوص والتي من أبرزها حكايات ألف ليلة وليلة في دراسته الموسومة ب: المسار السردى وتنظيم المحتوى، يُبرز من خلالها منطلقاته السيميائية حيث يتكئ على "آليات المنهج السيميائي الشكلاني وسيلة لتحديد كل من المسار السردى والدلالة العميقة للمواد القصصية المدروسة ما سمح لنا بأن نتوصل إلى العلاقة الدلالية التي تصل ما بين الحكايات المؤطرة والحكايات المؤطرة"<sup>2\*</sup>، تبياناً من الباحث لكفاءة هذه النظرية في استجلاء معاني الرمز في حكايات "ألف ليلة وليلة" المعبرة عن رؤى الإنسان وسلوكه، فهذه القراءة من الباحث للحكايات تمثل "إنجازاً مهماً في مجال تحليل الخطابات السردية بفضل إفادتها المنهجية ودقة ووضوح آلياتها الإجرائية، والمقدمة في خطاب نقدي واضح العبارة، وبيّن المقاصد ومنهجه ... في جل كتاباته واضح المعالم"<sup>3</sup>، ذلك أنّ حكايات ألف ليلة وليلة تتميز بالثراء والحركية بفضل عملية التشظي القصصي التي اعتمدها المؤلف، حيث عمد إلى وضع "الحكاية الإطار" تنبثق عنها

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 15.

<sup>2</sup> عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 03.

\* يتميز مؤلف ألف ليلة وليلة بثرائه وبحركيته تطبع تطوره البنويّ نحو نهايته عن طريق انبثاق القصص وتوالدها، فالحكاية الإطار التي تسند فيها الحوادث الأساسية لولدي ملك جزائر الهند والصين: شهريار وشاه زمان، تفتح المجال واسعا لتوالد سلاسل من القصص المتفاوتة الطول والمتنوعة، كما أنّ الراوي المفترض لحكايات الليالي لا يحتكر السرد بل تتابع عمليات نقل بؤر الرواية من طرف إلى طرف آخر طيلة المسار السردى للمؤلف الضخم، عن: عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 06.

<sup>3</sup> عبد القادر نويوة، قراءة التراث السردى العربى، تجربة عبد الفتاح كيليطو، دار الروافد، بيروت، ط1، 2012، ص 59.

مجموعة من القصص المتضمنة، فهذه الغزارة في السرد تستوجب منهجا ثريا في الآليات ومرنا في التعامل مع هذا النوع من القص وهو ما يعيه الباحث الذي يرفض الإسقاط الآلي للمنهج، ومن نماذج تقنية التضمن نذكر الحكاية الأولى تحت عنوان: الحكاية الإطار قصة الملك شهريار والتي تتضمن أربع قصص على النحو الآتي:

1- القصة الافتتاحية: شهريار

وشاه زمان

2- قصة المرأة والعفريت.

3- قصة شهرزاد وأبيها والملك

شهريار.

4- قصة الحيوان ( الثور والحمار

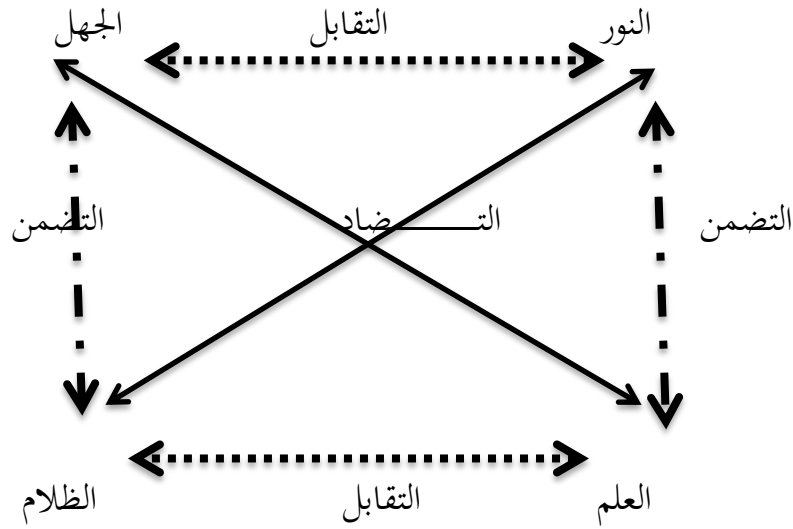
وصاحب الزرع وزوجته).

القصص المتضمنة

الحكاية الإطار:  
قصة الملك شهريار

حاول الباحث عبد الحميد بورايو الاستفادة قدر المستطاع من إرث غريماش في مجال السيميائيات أثناء مقارنته لحكايات ألف ليلة وليلة، فقد سعى إلى تحليل البنية العميقة للحكايات من خلال الاستعانة بالمرجع السيميائي الذي راهن عليه في الكشف عن هذه البنى والوصول إلى كمونات المعنى داخلها، حيث يلجأ الباحث "من أجل انبثاق المعنى في الحكايات المدروسة إلى استخدام نموذج البنية الأولية المسمى عند السيميائيين بـ "المرجع السيميائي" وهو صياغة منطقية

قائمة على نمذجة العلاقات الأولية (أو التأسيسية) للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات: التناقض والتقابل والتلازم<sup>1</sup>، فالمعاني حسب بورايو المستمد من أطروحات غريماش يمكن استخلاصها عن طريق العلاقات الثنائية المتقابلة التي يبينها المربع السيميائي المكون من أربع زوايا تتناظر وفق علاقات التضاد والتناقض والتضمن، والموجزة على النحو الآتي:



يقدم الباحث تعريفات متعددة للمربع السيميائي قصد التنويع في المصادر التي اعتمد عليها، منها ما قدّمه جوزيف كورتيس ( Joseph Courtès ) في كتابه الموسوم ب: التحليل السيميائي للخطاب حيث يعرف المربع السيميائي قائلا: "إنّه تجسيد مرئي لتمفصل مقولة دلالية، كما يمكن استخراجها على سبيل المثال، من عالم خطاب معطى، مقولة تمثل اللب المستوى الأكثر عمقا"<sup>2</sup>، أمّا

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص28.

<sup>2</sup> Joseph courtès, analyse sémiotique du discours, hachette, paris, 1991, p152.

عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص29.

الناقد دانيال بات (Daniel patte) ومن خلال كتابه المعنون ب: المربع السيميائي فيرى فيه "نموذجاً تقسيمياً يسمح بتمثيل نسق القيم الذي يُنظّم العوالم الصغرى الدلالية والذي هو مُسَرَّد في المستوى المؤنس تبعاً لضرورات التركيب السردى"<sup>1</sup>

## 2- خطاب الترجمة عند بورايو:

الفعل الترجمي ركيزة أساسية في بناء الخطاب السيميائي الجزائري، ذلك أنّ الترجمة تتجاوز بدورها نقل النصوص بين اللغات إلى عملية ثقافية ومعرفية، يريد من خلالها النقاد الجزائريون إعادة إنتاج نصوص جديدة بوعي كبير رغم صعوبة الأمر، فعملية النقل هذه تمثل جسراً نقدياً حوارياً يتم عبره نقل الحمولات الحضارية والنقدية إلى البيئة العربية سعياً إلى محاكاة المنجز الغربي، وفي هذا السياق يتجلى اسم الباحث الجزائري عبد الحميد بورايو الذي أولى عناية خاصة بالترجمة انطلاقاً من رؤية شاملة تؤسس لمشروع سيميائي متكامل قوامه التنظير والتطبيق والترجمة، الأمر الذي ساهم في تزويد الساحة العربية بالمستجدات السيميائية بغية تطوير الدرس النقدي العربي وتحديد آلياته، وذاك عن طريق إرشاد الدارسين "باللجوء إلى الأدوات الإجرائية المسخرة في التحليل السيميائي، ثانيهما: إشعار القارئ العربي بأن التحليل السيميائي يتجاوز دراسة النصوص

<sup>1</sup> Daniel patte, carré sémiotique et syntaxe narrative, in actes sémiotiques  
document3), 23, 1981, institut de la langue française, paris, p6.  
عن: عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 29.

إلى حقول معرفية أخرى وهذا دليل على مصداقيته وفعالته العلمية، وإن الباحثين من ذوي التخصصات المختلفة ملزمون في الوضع الراهن للبحث بإقامة تواصل وحوار متواصل<sup>1</sup> مع الروافد النقدية الغربية وحركيتها، خاصة ما جاء عن النظرية السيميائية الفرنسية ومؤسسها ألجيراد غريماس وتلميذه كورتيس، فقد كانت هذه النظرية محور الأعمال الترجيحية للباحث بورايو، حيث ترجم لهم الكثير من البحوث لعل أهمها الكتاب المعنون ب: المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، فقد سعى الباحث إلى نقل أهم المفاهيم الغريماسية ومصطلحاتها قصد توطينها عربيا وتقريبها للقارئ العربي، فهذا المسعى ذو بعد تعليمي تمثل في تقديم مداخل السرديات وهو فرع دراسي لقي رواجاً في الثقافة العربية في هذه الفترة التاريخية، وكان المترجم من بين من أسهموا في ترسيخه في المحيط الجامعي الجزائري، من خلال دروسه وإشرافه على المذكرات والرسائل ومساهمته في الملتقيات والندوات العلمية<sup>2</sup>، فقد استطاع بورايو من خلال جهوده الترجيحية أن يؤسس بأمانته وكفاءته مكتبة هامة من البحوث السيميائية انطلاقاً من وعيه التام بالدور الذي تُسهم به آلية الترجمة في التأسيس لخطاب سيميائي جزائري، ونلاحظ أنّ الباحث قد آثر الترجمة المباشرة لأعمال النقاد الغربيين، ومن أهم هذه الترجمات نذكر:

- مدخل إلى السيميولوجيا (نص / صورة)، 1995.

- الرواية مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، 2002.

<sup>1</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 119-120.

<sup>2</sup> ألجيراد غريماس- ج. كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ترجمة وتقديم عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014، ص05.

- الكشف عن المعنى في النص السردي، 2008.
  - مدخل إلى التناص، 2012.
  - السيميائيات السردية، نموذج سردية، الأشكال السردية، وظائف العنوان، 2013.
  - النظرية السيميائية مسار التوليد الدلالي، 2013.
  - السرديات التطبيقية، مقاربات سيميائية سردية، 2013.
  - المنهج السيميائي، الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، 2014.
  - أنثروبولوجيا العولمة، 2017.
- إنّ المهمة التي يقوم بها المترجم في حقل السيميائيات تجعله في معاناة دائمة أثناء نقل مختلف المفاهيم، ذلك أنّه يعيش بين المطرقة والسندان، بين تبني أطروحات الآخر السيميائية والتي لها خلفية فلسفية غربية خاصة، والتجني على هويته الثقافية العربية، وإزاء ذلك يروم الباحث أثناء بحوثه الترجمة العمل الجمعي مع أقرانه المشتغلين في حقل السيميائيات، ففي تقديمه لترجمة كتاب غريماس الموسوم ب: النظرية السيميائية السردية مسارها التوليدي الدلالي، يبرز الباحث تجربته المنهجية في التعامل مع المصطلحات السيميائية ونقلها من البيئة الغربية إلى البيئة العربية، حيث يرى أنّها تجربة "واكبت مرحلة البحث عن المصطلح العربي المناسب في ميدان السيميائيات، قد حاولت قدر الإمكان أن أتقارب في اختيارها مع زملائي المنشغلين بها فاستفيد من اجتهاداتهم، وأخص بالذكر هنا الأساتذة رشيد بن مالك والسعيد بوطاجين والسعيد بنكراد إلى جانب ذلك

استعنت بالقواميس اللسانية المتخصصة التي ظهرت في العالم العربي في هذه الحقبة، نظرا للصلة الوثيقة بين الدرس السيميائي واللساني<sup>1</sup>، فهذه المنهجية المبنية على التنسيق بين المترجمين تمثل درجة عالية من درجات الوعي لدى بورايو بأنّ العمل الترجمي التشاركي هو السبيل الأوحده للتخفيف من أزمة الاضطراب المصطلحي التي رافقت تحولات الخطاب النقدي الحديث في الوطن العربي، فالدرس السيميائي العربي لن يتطور إلا بتخطي هذه الأزمة وذلك وفق استراتيجية علمية قوامها توحيد جهود النقاد في وضع المصطلحات، ومن أمثلة هذه الجهود ما قام به بورايو بالاشتراك مع الباحث رشيد بن مالك والذي أثمر ترجمة ثنائية للدراسة التطبيقية الموسومة بـ: التحليل السيميائي للخطاب ( التشاكل والترابط بين التعبير والمضمون: الموكب الجنائزي) لجوزيف كورتيس ( isomorphie et corrélation entre expression et contenu ) حيث "حاول المترجمان توخي الدقة والأمانة والحذر، سواء أعلق الأمر بضبط المصطلح وتحديده أم بصياغة التأويلات الممكنة للسياقات النصية ... بالارتكاز على ما هو متوافر بين أيديهما من ترجمات عربية في هذا المجال، وتارة أخرى بالاجتهاد الشخصي بحسب ما يناسب المقام"<sup>2</sup>، وهذا ما ينم عن عناية كبيرة بألية الترجمة وكيفية وضع المصطلح السيميائي وفهم عميق بأصول كل مصطلح وما يحمله من مفاهيم سيميائية، وذلك من خلال تشريح آليات المصطلح النقدي والضوابط المتحكمة في طرق صياغته يتعين إجراء حفريات معرفية

<sup>1</sup> غريصاص وآخرون، النظرية السيميائية السردية مسارها التوليدي الدلالي، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، دط، 2013، ص04.

<sup>2</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 120.

تلامس جذور القواعد الفكرية في أدق حيثياتها، ذلك أنّ الوعي بالمفاهيم في مجال النقد الأدبي كثيرا ما يتخطى عتبة الوعي بمدلولها<sup>1</sup>، وهذا يحيل إلى نقطة مهمة تتمثل في التمكن الكبير من اللغتين العربية والفرنسية ما سهل على الباحث فهم المصطلحات السيميائية في مظانها، الأمر الذي يُسهّم في النقل الصحيح والدقيق للمصطلح إلى الضفة العربية.

إنّ العمل الجماعي الذي ينشده الباحث في مجال ترجمة المصطلح السيميائي والذي طبّقه رفقة رشيد بن مالك يُحول "البحث العلمي بموجبهما إلى تعبير عن رؤية عالمية لا رؤية فردية للأشياء والواقع، يمكن أن توصف كنظام فكري تعززه الفعاليات العلمية في إطار مشروع جماعي"<sup>2</sup> متميز يتجاوز تعقيدات هذا المصطلح ويثمر تأصيلا حقيقيا للنظرية السيميائية في المدونة العربية فيتعرف عليها الباحث العربي دون تشويش وينمو معه حسه النقدي، وهي الغاية التعليمية التي يسعى إلى تحقيقها الباحث بورايو.

ومن أهم المصطلحات السيميائية التي ترجمها الباحث والتي وردت في مختلف أبحاثه نذكر:

1- Sémiotique يقابله: علم الدلائل ، السيميائيات، السيميائية

2- Enonce narratif يقابله: الملفوظ السردي

3- Actant يقابله: الدور، الفاعل، الشخصية.

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، الازدواج والمماثلة في المصطلح النقدي، المجلة العربية للثقافة (نصف سنوية)، تونس، مارس 1993، ص23.

<sup>2</sup> عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، ط1، 2015، ص140.

Acteur-4 يقابله: الممثل، القائم بالفعل.

Objet-5 يقابله: الموضوع.

Compétence-6 يقابله: الكفاءة.

Carré sémiotique-7 يقابله: المربع السيميائي، البنية الأولية.

Epreuve-8 يقابله: الاختبار.

Isotopie-9 يقابله: إيزوتوبيا، القطب الدلالي، التشاكل.

Structure profonde-10 يقابله: البنية العميقة.

رابعاً: الممارسة التطبيقية في الخطاب السيميائي عند عبد الحميد بورايو

إنّ الانبهار بالنظرية السيميائية في الوطن العربي لم يتوقف عند المحاولات التأسيسية الحثيثة والنقولات الترجمية الكثيرة، بل تُرجم مع مرور الوقت إلى ممارسات تطبيقية متنوعة من طرف الباحثين العرب، سعياً منهم إلى بلورة خطاب نقدي سيميائي متكامل يرسخ لهذه النظرية كأداة فاعلة في تحليل التراث العربي واستكناه مختلف مدلولاته الثابوة داخل بنياته الرامزة، ومع التحولات التي حدثت في الخطاب النقدي العربي أثناء محاكاة الدرس السيميائي الغربي يبرز اسم الناقد عبد الحميد بورايو كأحد الباحثين في مجالات السيميائيات، بسبب العمل التراكمي التطبيقي الذي قام به انطلاقاً من تصور نظري محكم حول هذه النظرية ومنطلقاتها، الأمر الذي شكّل له وعياً بطبيعته السيمياء ومفاهيمها الأساسية، وذلك في إطار ما "تحدّده السيميائيات السردية من أطر وما تفرضه من شروط في مختلف أصولها وروافدها، مع استيعابه لمنهجيتها في التحليل ووضوح الرؤية لديه، يسند ذلك كلّ انشغال دائم وحرص متواصل لدى الباحث على تقديم الجديد بالنسبة للتجارب السابقة مع احترامه لخصوصية النص المعالج تلافياً للتعميم والسطحية"<sup>1</sup> التي لازمت القراءات التقليدية السابقة.

**1- سؤال المنهج عند عبد الحميد بورايو:**

<sup>1</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 189.

إنّ المتتبع للمسار النقدي لدى الباحث يلحظ في مستواه التطبيقي أنّه يتميز بالتنوع والثراء، من خلال مقارنة الكثير من النصوص السردية التراثية مثل: حكايات ألف ليلة وليلة والقصص الشعبي والمغازي ونماذج من كليلة ودمنة، ورغم إدراكه بصعوبة تحليل هذه النصوص المعقدة إلا أنّ بورايو يروم بطموحه النقدي تقليص "المسافة الفاصلة بين الجانب التطبيقي للنظرية أو المنهج، والوجه المتحقق في الممارسة التطبيقية، ذلك أنّه يمرّ حتما عبر مزج النظرية بالنص المراد مقارنته، إلى الحد الذي تذوب فيه الفواصل بينهما ويصبح على إثر ذلك التنظير تطبيقا والتطبيق تنظيرا"<sup>1</sup> وهذا ما استوجب جهدا كبيرا من الباحث ووعيا نقديا عميقا، إدراكا منه بأهمية التعامل مع النص الأدبي وما يترتب عليها من انحرافات في التحليل، الأمر الذي دفعه إلى التركيز على قضية المنهج في جل دراساته، حيث يراها أهم مشكلة تواجه الدراسات الأدبية في العصر الحديث، ولهذا يبدأ كتابه "منطق السرد" بأول سؤال يواجهه أثناء مقارعة النص الأدبي: "كيف تتم مواجهة النصوص الأدبية؟ وما هي الوسائل الكفيلة بمعالجة صائبة لنص أدبي معين"<sup>2</sup>، وهو ما يستدعي تقديم عرض منهجي يبين فيه الآليات الإجرائية التي يتخذها سندا في قراءاته انطلاقا من المناهج النقدية المتاحة، ولا تكون هذه المناهج إلا أداة في يد الباحث تُمكنه "من السيطرة على مادة معينة، وفحصها فحصا دقيقا، ومعرفة حقيقتها، ذلك أنّ هذه الوسائل والإجراءات يجب أن تستمد خصائصها بمراعاة طبيعة المادة التي تتعامل معها، ومن هنا يصبح من الضروري تحديد موضوع الدراسة الأدبية"<sup>3</sup> لتجنب إسقاط المنهج على النص إسقاطا

<sup>1</sup> ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص 06.

<sup>2</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 02.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 02.

تعسفيا، ويأتي هذا الإجراء المنهجي في ظل "تَهافت أعمى على المناهج النقدية الغربية، دون وعي بحجم المخاطر الممكنة المترتبة على مثل هذا الترامي على أدوات إجرائية غريبة المنبت، وتطبيقها بشكل آلي على أعمال إبداعية عربية غريبة عنها"<sup>1</sup> وهو ما يترتب عنه أحد أصعب الإشكاليات التي واجهت الخطاب النقدي المعاصر والمتمثلة في تأصيل المنهج في البيئة العربية، الأمر الذي يعوق تطبيق المنهج السيميائي من طرف الباحثين العرب، ولهذا نجد أنّ المحاولات التي قادها الباحث عبد الحميد بورايو والعمل التأسيسي لهذا المنهج "لم يأت هكذا طفرة واحدة وبالسهولة التي يمكن تصورها، بل بمخاض عسير، جسده مراحل متدرجة، ومحطات متعددة، تأرجحت بين الرفض والقبول، والتجاهل والإقبال"<sup>2</sup>.

يتكرر السؤال حول المنهج عند بورايو مع كل قراءة سيميائية، إدراكا منه بأهمية هذا السؤال وسعيا إلى تقليص المسافة الفاصلة بين المستوى التنظيري والمستوى التطبيقي، حيث يخصص في كتابه: المسار السردى وتنظيم المحتوى، مدخلا منهجيا يحدّد فيه المدوّنة والإشكالية والمنهج، فالباحث يستقر اختياره على حكايات ألف ليلة وليلة التي يرى فيها عملا متفردا واجهه الكثير من المحللين \* بقراءتهم النمطية دون إحاطة شاملة به وبمكوناته، وهو ما يستميل الباحث إلى اختبار نجاعة القراءة السيميائية لهذا

<sup>1</sup> عبد العالي بوطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع والعشرون، العدد الأول، سبتمبر 1998، ص10.

<sup>2</sup> قادة عقاق، تلقي المعرفة السيميائية في الخطاب النقدي المغاربي (مستوياتها وهرانها ونتائجها التوجه الغريماسي نموذجاً)، ص70.

\* بعض الدراسات حول حكايات ألف ليلة وليلة: عبد الله إبراهيم في قراءته الموسومة ب: السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، سمير قلماوي (ألف ليلة وليلة)، وأحمد مُجّد الشحاذ في قراءته: الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة.

المؤلف السردى، فبعد تحديد المدونة بسبب ثرائها وحركيتها وعملية التوالد فيها يبين المنهج المعتمد والتي يتسم ببراء مفاهيمه وآلياته الإجرائية، قائلا: "نستمد أغلب أدواتنا المنهجية من نصوص تنتمي في أغلبها لنفس المدرسة السيميائية، والتي يمكننا أن نطلق عليها اسم المدرسة الغريماصي، ذات التوجه الشكلاي، والتي كان لها اليد الطولى في تطوير السرديات (أو علم السرد) منذ الستينيات حتى اليوم"<sup>1</sup>، فالباحث يرى أنه من الواجب الإفادة من هذه المنهج في قراءة التراث العربي، وهو العارف به وبمنطلقاته ومفاهيمه وقد تتبع تحولاته من الشكلايين إلى غريماص وطلبتته، الأمر الذي يسهل في تجاوز إشكالية المنهج عن طريق قراءة مغايرة وبآليات إجرائية جديدة - آليات المنهج السيميائي الشكلاي - تستكشف المعنى وتشكله في الأنساق الرامزة داخل الحكايات، فالمعنى في الحكايات ليس بالأمر السهل القبض عليه خاصة وأنّ يتعلق ببنيات سطحية وأخرى عميقة مشتركة، وهو ما يستدعي الاتكاء على فعالية المنهج السيميائي الشكلاي، فخطوة كهذه تتطلب حسا نقديا قويا ذلك "أنّ الباحث التزم حدود النص وأدرك مستوياته، واستطاع من خلال اشتغاله على اللغة صناعة خطاب نقدي يوفق فيه بين القيود التي يفرضها الجهاز السيميائي وتطلعات القارئ العربي إلى نص نقدي ييسر له سبل الاتصال بالمناهج الحداثية"<sup>2</sup> وكيفية استيعابها بأقصر الطرق.

انطلاقا من استقراء أهم دراسات الناقد عبد الحميد بورايو نجد أنّ سؤال المنهج عنده يخضع للتطور المستمر عبر هذه الأبحاث، ما جعله يتجاوز المعيارية والنمطية في تحليلاته المتنوعة التي انتقل فيها من المناهج السياقية إلى المناهج النسقية، فمن الدراسات التي تهتم بالسياق نذكر كتابه الذي يحمل عنوان

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، المسار السردى وتنظيم المحتوى، ص 05.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 35.

البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، والذي يتحدث فيه حول الأشكال السردية الشعبية في ارتباطها بالسياق من خلال الواقع الاجتماعي وكيف تعبر عن رؤى الإنسان حول الحياة، فالأدب الشعبي مرآة تعكس واقع المجتمع فيبرز وعي الإنسان وذاكرته وتأثيراته النفسية، فالاهتمام بهذا النوع من السرد وتحليله يُسهم في استجلاء مكنوناته في بعدها الاجتماعي والنفسي، الأمر الذي يستوجب اطلاعا عميقا على أهم المقربات النقدية الغربية التي تساعد في تحليل هذا النوع من النصوص، ويبرز الباحث أسباب هذه التوجهات في قوله: "دفعني البحث في مجال الأدب الشعبي إلى العناية بالأنثروبولوجيا الثقافية خاصة، وبالمنهج البنوي ثم المنهج السيميائي، مع العناية بآليات التحليل النصي والخطابي الذي يضع في اعتباره السياقات الاجتماعية والنفسية المولدة للنصوص، نبع اهتمامي بهذه الوسائل المنهجية من قناعاتي بضرورة علمنة الدراسة الأدبية والاستفادة من نتائج الدراسات اللسانية الحديثة التي قطعت شوطا مهما في هذا الباب"<sup>1</sup>، فهذه الآليات الجديدة تساعد في إحياء النص التراثي الشعبي الذي عانى التهميش بالمقارنة مع باقي أنواع السرد، إضافة إلى أنّ الباحث يورايو يرى في المنهج السياقي وحده غير كاف للإحاطة بالنصوص القديمة لأنه "تمّ إبداع هذا الإنتاج في عصور موعلة في القدم، وظلّ متداولاً يعاد إنتاجه من جديد في كل حقبة تاريخية، ومن الصعوبة بمكان تفسيره بالوسائل المنهجية التي يتيحها المنهج السوسولوجي ... وذلك بسبب صعوبة الحصول على المعطيات السوسولوجية المتحكمة في إنتاجه، بسبب علاقته بحقب تاريخية موعلة في

<sup>1</sup> إنسانيات، لقاء مع عبد الحميد بورايو، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 106، سنة 2024، ص 53-63.

التاريخ لا تتوفر عنها حاليا أي معلومات سوسيوولوجية<sup>1</sup>، وهو ما جعله ينزع إلى مناهج مساعدة يتكئ عليها في جل مقارباته، ومن هذه الدراسات التي اعتمدت التركيب المنهجي نذكر كتابه الموسوم ب: **البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري**، حيث تناول أدب البطولة انطلاقا من الواقع المعيش وذلك وفق منظورين سوسولوجي وسيميائي؛ بدءا من "التعرف على ظروف نشأتها وتداولها ومسارات تطورها وطبيعة موادها واستراتيجية روايتها، أما المنظور الثاني فيعني بالتحليل الداخلي للنصوص بعد عزلها ومحاولة بيان تركيبها عن طريق خطوات منهجية تستفيد من منجزات السيميولوجيا وعلم السرديات **Narratologie**"<sup>2</sup>، فهذا الإطار المنهجي الذي استهل به دراسته خاضع لطبيعة النص وخصوصية السرد المروي وما فيه من كائنات خيالية.

ولا شك أن الباحث بحسه النقدي سعى إلى تلافي إسقاط المنهج على النص العربي إسقاطا مباشرا، بل سعى إلى إخضاع المنهج إلى النص ولهذا نجده يتعامل مع التراث الشعبي بحذر شديد منطلقا من اطلاعه الشامل على مختلف المناهج الغربية، ما جعله يستفيد من يحلل هذا الموروث وفق عدة أبعاد؛ سوسولوجية ثقافية ونفسية وأدوات منهجية بنيوية وسيميائية وبنيوية تكوينية، فهو لا يجد حرجا في اعتماد التركيب المنهجي الذي طبقه على دراسته الميدانية للقصاص الشعبي في منطقة بسكرة حيث "قام الدارس بتحليل نماذج من النصوص ... مستعينا في ذلك بالمنهج البنيوي ... وقول الباحث "مستعينا" يعني أنه لم يعتمد المنهج البنيوي وحده ولكن زاوجه مع المنهج الأنثروبولوجي

<sup>1</sup> علي ملاح، حوار مع عبد الحميد بورايو، WWW.Almaktabah.net

<sup>2</sup> عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 02.

وخاصة كما طبقه ليفي ستروس<sup>1</sup>، ورغم صعوبة التركيب المنهجي نجد أنّ الباحث حسين خمري يشيد بعمل عبد الحميد بورايو من حيث صرامته المنهجية ودقته في تحليل هذا النوع من القصص وذلك بدءاً من العنوان الذي لا يوحي بأي منهج تحليلي "فيمكن أن يكون القصص في منطقة بسكرة عبارة عن أنطولوجية، أو مقارنة تاريخية أو دراسة مضمونية أو شكلية؛ وبالتالي فإنّ أي منهج يصلح لمقاربة هذه الممارسة الشعبية المتداولة في نطاق مساحة جغرافية محددة"<sup>2</sup>، ذلك أنّ الباحث بورايو على دراية عميقة بكل منهج ونجاعته في التحليل، وهو ما انعكس على كفاءة الباحث النقدية التي تجلت في مزجه بين أطروحات غريماش وستروس رغم اشتراكهما في الكثير من النقاط، وهذا ينم عن قدرته على رصد التميز بين الناقدین والاستفادة منهما قدر المستطاع في سبيل الوصول إلى قراءة عميقة لهذا التراث.

إنّ الإجابة عن سؤال المنهج عند الباحث عبد الحميد بورايو يعد أولوية ملحة في مشروعه النقدي، ذلك أنّه يصبو إلى تجاوز الكثير من الإشكالات المنهجية التي تواجه الدارسين العرب أثناء محاورة النص العربي المشدود إلى واقعه وثقافته، الأمر الذي يُسهم في "التأسيس لرؤية عربية متميزة، لا تغفل - في فهمها للظاهرة الأدبية - عن واقعها، ولا تنقطع في ذلك عن تراثها، فيما هي لا تغلق الباب في وجه ما ينتجه الآخر من وسائل وإجراءات يمكن أن تفيدها في الكشف عن جوانب عدّة

<sup>1</sup> حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 439.

<sup>2</sup> حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ص 438.

من النص الأدبي، وهو ما يتّضح في ممارساته التطبيقية<sup>1</sup> التي يطمح الباحث من خلالها إلى الانعتاق من الآخر وبعث روح الإبداع العربي من جديد.

## 2- قراءة في التحليل السيميائي لفضاء رواية الجازية والدرأويش لعبد الحميد بن هدوقة:

احتفى الباحث عبد الحميد بورايو في مقارباته بعنصر الفضاء وقد أولاه اهتماما كبيرا على المستوى النظري الذي أعضده بالمستوى التطبيقي رغم التفاوت بينهما، حيث تبرز رؤيته النقدية لهذا العنصر في مدونته الموسومة بمنطق السرد وهو البحث الذي استمالنا إلى إجراء مسح شامل عليه للوصول إلى كيفية تعامل الباحث مع عنصر الفضاء في إطار رؤية جديدة تتجاوز النظرة التقليدية له، وذلك انطلاقا من مشروعه السيميائي المتكامل الذي يسعى من خلاله إلى الإحاطة بمختلف مكونات السرد والكشف عن أسرارها وكيفية تعالقها مع بعض بوصفها أنساقا من العلامات التي تحمل في كُنْهها دلالات ثقافية واجتماعية، ولهذا "يتمثل هدفنا - في نظر الباحث- من بحث هذا المكون الأساسي من مكونات العمل الروائي في الكشف عن طبيعة علاقته، بالمضمون الإيديولوجي للروايات والقيم الرمزية التي يحملها، وكذلك طبيعة العلاقة التي تربطه ببقية العناصر الروائية، مثل

<sup>1</sup> قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، ص 133.

الأحداث والشخصيات<sup>1</sup> المتفاعلة داخل النص والتي تعبر عن نظرة الكاتب للواقع والعالم بصفة عامة.

خصّص الباحث جزءا مهما من القسم الثالث في كتابه منطق السرد لدراسة الفضاء حيث عنوانه ب: المكان والزمان في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ( دراسة تصنيفية وتحليلية للأمكنة والأزمنة الموظفة في نماذج منها)، وقد بدأ هذا الجزء بمدخل تمهيدي يبين رؤيته لدراسة ثنائيتي المكان والزمان، حيث أوضح أنّهما بنيتان منفصلتان تساهمان في انبثاق المعاني داخل الرواية انطلاقا من عملية تفاعلية مع أبنية سردية أخرى، ولهذا يرى أنّه يستوجب رصد كل بنية على حدة أثناء التصدي لعوالم الرواية وقراءتها، واستنادا لهذا المهاد النظري فالباحث يقصد بمصطلح الفضاء كمعادل للمكان، إذ أنّ مصطلح المكان عنده يتعالى عن الجغرافيا فهو مفهوم أشمل، غير أنّه يستعين بمصطلح الحيز وهو الأمر ذاته الذي مال إليه الناقد عبد المالك مرتاض، وقد ميّز بورايو بين حيز نصي وآخر مكاني، يقول بورايو: "في معالجتنا للمكان سوف نفرق بين الحيز النصي، الذي نقصد به مجال النص، أي الصورة الشكلية التي قدّمت بها الرواية للقارئ؛ من حيث ترتيب أقسامها، وما يتعلق بعنوانها وعناوين فصولها، ومضامين فاتحتها، وبين الحيز المكاني الذي يشمل الأماكن، سواء منها المتخيل أو الفعلي الذي له مرجعية واقعية"<sup>2</sup>، وقد ركّز الباحث على الحيز المكاني وما يعكسه من دلالات أثناء معالجته لمجموعة من الروايات هي:

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص116.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص116.

- رواية الجازية والدرأويش لعبد الحميد بن هدوقة ( الجازية والدرأويش وثنائية الأمكنة).
  - رواية نوار اللوز للأعرج وسيني ( نظام الأمكنة في رواية نوار اللوز بين الصفات المتجانسة والقيم الخلافية).
  - انبثاق المعنى في رواية "رائحة الكلب" للجيلالي خلاص.
- وإذا كان مصطلح الفضاء لم يتبلور حوله نظرية متكاملة في النقد العربي فإنّ هذا الأمر قد ألقى بظلاله على الخطاب النقدي العربي وعند الباحث بورايو الذي لم يستقر على مقابل واحد له، فقد استخدم ESPACE كمقابل لمصطلح المكان الأكثر شيوعاً عند الباحثين الغربيين والعرب، كما يستعمل مصطلح الحيز لنفس المفهوم على نفس المنحى الذي ذهب إليه عبد المالك مرتاض، الأمر الذي أعابه عليه الباحث يوسف وغليسي في كتابه الموسوم ب: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، وفي هذا السياق يقدم بورايو تبريره لهذا الأمر، قائلاً: "كنت أجد المصطلح الأكثر شيوعاً وقد أغير موقفي أحياناً فأستبدل بعض المصطلحات التي أقتنع بها ببدايل لها، بعد ظهور مقالات تستعملها وأجدها أنسب، وهو ما أخذ عليّ أحياناً من استعمال أكثر من مصطلح لنفس الدلالة ... بدأت الدراسات السيميائية تنضج وتعطي ثمارها في الجامعة الجزائرية، مما أتاح لي التشاور مع بعض الدارسين المختصين بخصوص المصطلح كرشيد بن مالك وسعيد بوطاجين، وقد حاولت قدر الإمكان توحيد استعمال المصطلح"<sup>1</sup> مع أقرانه في ظل غياب التنسيق الجماعي بين

<sup>1</sup> محمد دقي، مدرسة باريس بين النظرية والتطبيق في الجزائر (عبد الحميد بورايو أتمودجا)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تيارت، 2021/2020، ص 300.

الباحثين العرب غير أنّ هذا التعدد المصطلحي لم يمنعه من المضي قدما نحو استقراء دلالات الفضاء بشكل مميز، حيث أغراه ارتباط الإنسان بالمكان أو ما يشيع عند الباحثين في حقل السيميائيات بالبروكسيميك (Proxémique)\* والذي "أصبح يحظى لديهم باهتمام متزايد، بوصفه اختصاصا، بل مشروع اختصاص سيميائي يستهدف تحليل أوضاع الذوات والموضوعات ضمن الفضاء، وبالأخص استغلال الذوات الفضاء لأغراض الدلالة... إنّه - بلغة بسيطة - علم العلاقات الإنسانية التي يحددها الإطار المكاني ويتحكم في دلالاتها إلى حد كبير"<sup>1</sup> داخل معمار النص الروائي، رغم أنّ الباحث لم يستعمل مصطلح بروكسيمك إلا أنّ تجلياته حاضرة في مقاربات بورايو للفضاء، الأمر الذي نستقرئه في الجزء التطبيقي من هذا الفصل.

#### - الجازية والدرأويش وثنائية الأمكنة:

يمثل الفضاء عنصرا فاعلا في إنتاج الدلالة داخل رواية الجازية والدرأويش لعبد الحميد بن هدوقة، كما أنّه مكون مهم تتجلى من خلاله الرؤية السردية لبن هدوقة ذلك أنّ عبقريته تتجسد ضمن هذا الفضاء الروائي الذي يرسم فيه مسار الحكيم وعوالم الرواية وكيف تتعالق فيه باقي المكونات، فالفضاء

<sup>1</sup> يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، 261.

\* تأسس لهذا الغرض علم la proxémique الذي يعد إدوارد هول E. hall أبرز ممثل له، ويشغل هذا العلم في إطار السيميائيات الأنثروبولوجية، ويربط علاقة الإنسان بالفضاء داخل نموذج ثقافي معين ويربط ذلك بالبنية الذهنية لأصحاب تلك الثقافة. وكان عبد المالك مرتاض من أوائل المبكرين إلى هذا المفهوم في مقام حديثه عن التحييز، كما تناوله الناقد التونسي محمد الناصر عجمي بمعنى الاهتمام بمجالات موصولة بالفضاء، بينما نقله محمد عناني إلى علم دلالات المكان، أما المسدي فيترجم هذا المصطلح بـ "المتقارب"، أما يوسف وغليسي وبعد تدبر معجمي لتأثيل هذا المصطلح يترجمه إلى الجوارية التي تحيل إلى الفضاء (التقارب في المكان) والعلاقات الأنثروبولوجية ضمنه. ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 261-262-263.

في هذا المتن يتجاوز الواقع الجغرافي ليصبح أداة رمزية إبداعية تحمل دلالات ثقافية واجتماعية ونفسية، الأمر الذي أغرى الباحث عبد الحميد بورايو لتحليل هذه الرواية والسعي من أجل "الكشف عن طبيعة علاقته بالمضمون الايديولوجي للروايات والقيم الرمزية التي يحملها، وكذلك طبيعة العلاقة التي تربطه ببقية العناصر الروائية مثل الأحداث والشخصيات"<sup>1</sup>، وهذا يعني أنّ الراوي يُعطي للمكان داخل متنه سلطة كبيرة تتحكم في مجموعة من المحاور والتي رصدتها بورايو على النحو الآتي:

- القيم المطلقة (الجازية).
- القيم الروحية ذات الطابع الفردي (ال دراويش).
- الإطار الثقافي والتاريخي ذي الطابع الجماعي (السبعة).
- النظام الاجتماعي (الرعاة).
- السلطة السياسية (الشامبيط).

يستشف الباحث من فاتحة الكتاب أنّ للمكان حضورا قويا في تمفصلات الرواية حيث يسهم في تشكل العلاقات الاجتماعية والروحية وفق المشروع الروائي للكاتب والذي ينطلق من فكرة الوجود حين يؤول العنوان (الجازية وال دراويش\*) في بعده المكاني والزمني، ذلك أنّ "الجازية كقيمة مطلقة في ارتباطها بالمكان (الأرض) والزمان (الإنسان) تمثل الوطن، أما الدراويش كقيمة فردية، تعني شكلا

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 116.

معينا من الارتباط الروحي غير المحدد بالوطن"<sup>1</sup>، الأمر الذي ينقل المكان إلى الخيال الذي لا يتشكل إلا في عوالم الرواية أو ما تتيحه الأدبية التي يمتلك ناصيتها الكاتب ويبدع في استجلائها الناقد راصدا قيمها الرمزية التي تخلق المعاني السردية، إذ أن المعنى المرصود لا يتحقق إلا من خلال هذا التحول فينعتق من الوصف الجغرافي إلى عوالم الخيال، فحضور الجازية في كل الأمكنة جعلها وطننا في نظر بورايو الذي يدرك أنّ العلامات اللغوية تتسم بالاتساع وهذا نابع من "قدرتها على التحول على مستوى المدلول لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يعرف بالتحول الدلالي ... هو الذي ينقل النص اللغوي من وظيفة "الإنباء" الاجتماعية ويجعله يحقق وظائف أخرى أدبية"<sup>2</sup> تجعل من المكان في رواية الجازية والدرأويش ينزاح عن عن معناه المتوقع إلى معان أخرى تحقق رؤى الكاتب عبد الحميد بن هدوقة.

ونحن إذ نرصد تفاعل الباحث مع الفضاء نجد أنه يتعامل مع هذا المكون باعتباره بنية للدلالة وأنّ "الدلالة لا يمكن أن تنشأ إلا على أساس الفوارق، وما يجعل المعنى ممكنا هو الإدراك الحسي للفوارق، فلا يكون "علو" إلا بالتباين مع ما هو "أسفل"<sup>3</sup>، الأمر الذي يبرز في التباين الحاصل بين

---

\* إنّ شخصية الجازية التي تعيننا هنا تحمل ملامح الشخصية الملحمية والمتمثلة في كمال جسمي وعقلي وامتلاء بالحياة بجميع معانيها، أما الدراويش فهي تسمية أطلقت قديما على أعضاء الطرق الصوفية، وأصبحت بعد ذلك تعني في الذهنية الشعبية ضعف العقل والغياب عن الوجود الحاضر، ولا شك أنّ هذا هذا المعنى في الذهنية الشعبية له علاقة بالمعنى الأول، إذ أنّ طقوس الطرق الدينية تقوم على ممارسات تهدف إلى الغياب عن العالم المادي (الديوي) من أجل الوصول إلى حضرة المعبود المتصف بالجمال والكمال ... الربط بين اسمي الجازية والدراويش اقتران العابد بالمعبود. ينظر عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 119-120.

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 121.

<sup>2</sup> نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص 87.

<sup>3</sup> عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردية وقضايا النص، منشورات دار القدس العربي، وهران، ط1، 2009، ص 153.

الثنائيات التي شكلتها الأمكنة داخل الرواية وكيف تلقي بظلالها على عوالم الرواية، وهي على النحو الآتي:

- السجن / الدشرة.
- قمة الجبل / الهاوية.
- جامع السبعة / دار الأخضر الجبائلي.
- الخارج / الداخل.
- المدينة / القرية.
- حناجر الطيور / الألف بندقية.
- الدشرة / قرية المستقبل.

بما أنّ المكان على علاقة متينة مع الشخص مع فإنّ هذه الآلية تكشف عن نوع معين من هذه الشخصيات تتوافق مع خصائص المكان الذي تتحرك فيه، فالسجن باعتباره حيزا ضيقا يرتبط بشعور فردي وموقف شخصي، أما القرية باعتبارها حيزا واسعا فتحيل على العلاقات الاجتماعية التي ترسمها الشخصيات، كما يستنتج الباحث في تحليله للأمكنة وتعالقها مع الشخص مع أنّ الجازية في بعدها البطولي ترتبط بكل الأمكنة الحاضرة في الرواية "الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه سابقا من كونها تمثل فكرة الوطن في تجلياتها من خلال وعي مختلف الفئات الاجتماعية ومثلي التيارات السياسية"<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ص 129.

والملاحظ في هذه القراءة تمثله لمفهوم التقاطب أو الثنائيات الضدية والاتكاء عليها كأداة إجرائية فعالة في استخلاص الدلالة وتحولاتها، رغم أنّ بورايو لم يفصح عن المرجعية النقدية التي نُهل منها هذه الأداة، فقد يكون من رؤى الشعرية الحديثة التي نادى بها لوتمان، ميتزان وباشلار، كما نلاحظ أنّ الباحث لم يعتمد على المربع السيميائي رغم أنّه أداة فعالة في تبيان العلاقات المشكلة لنظام الأمكنة في رواية الجازية والدرأويش، فقد اعتمده في قراءته على نماذج سردية متنوعة في دراسته الميدانية الموسومة ب: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، حيث عالج قصص البطولة (قصة غزوة الخندق)، الحكاية الخرافية (حكاية ولد المحقورة)، والحكاية الشعبية (حكاية الإخوة الثلاثة)، ما أشاد الباحث عبد القادر شرشار بتحليل بورايو للفضاء ووعيه النقدي، قائلا: "يعكس بصدق مستوى تمثّل النظريات الغربية في تحليل النصوص السردية، ويتعلق الأمر بأعمال تودوروف وغريماس وجيرار جينيت وكلود بريموند وقد مكّن هذا التمثّل الجيد الباحث من الوصول إلى نتائج نقدية حققت في مجملها ما كان يهدف إليه، وهو الكشف عن طبيعة العلاقة بين البنية المكانية والزمنية والمضمون الأيديولوجي للروايات والقيم الرمزية التي يحملها هذا المضمون"<sup>1</sup>

أثناء تتبع تحليل الباحث عبد الحميد بورايو لرواية الجازية والدرأويش وعموم تحاليله الأخرى نستشف أنّه يعتمد التركيب المنهجي، ذلك أنّه ينتقل من المنهج النسقي إلى السياق، انطلاقا من قناعته الراسخة في أنّ النص يستدعي المنهج، فيغدو تحليله غير خاضع لسلطة المنهج، ومنه فإنّ الإحاطة بكل أبعاد هذا النص تستوجب التوفيق بين النسق والسياق، الأمر الذي ينفي عنه التطبيق

<sup>1</sup> عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردى وقضايا النص، ص188.

الميكانيكي الحرفي للمناهج النقدية لكنّه يشكل له ثراء في الأدوات المنهجية، وهذا يثبت ابتكار رؤية نقدية متميزة خاصة به تتسم بالمرونة في توظيف المنهج وما يعقبه من تحليل أصيل ذي بصمة نقدية شخصية، إلا أنّ هذه النزعة نحو التركيب جعلت في عرضة لعديد الانتقادات إذ إنّ من غير المعقول توظيف أدوات أجنبية متنوعة لمناهج متعددة دون الوقوع في فخ التلفيق، ومن الأقلام البارزة المتقدمة يبرز الباحث يوسف الوغليسي أثناء معالجته لإشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، وقد واجه بورايو هذه الانتقادات انطلاقاً من أن هذه المناهج ما هي إلا تيارات مترابطة وظيفتها علمنة الدراسات الأدبية، ونتيجة لمعرفته بهذه التيارات ومرجعياتها وتبلور رصيد كاف حولها، سعى إلى توظيفها في دراساته، يقول بورايو: "ولهذا راعيت في أبحاثي أن أبدأ تحليل النص بالتعرف على بنيته ذات الطبيعة الشكلية ثم أنتقل إلى محاولة معرفة ظروف إنتاجه الاجتماعية والنفسية، وهو ما تسمح به الأنثروبولوجية البنيوية وسيميائية الثقافة، إذ يتم التعامل مع الإنتاج الفني باعتباره أنساقاً رمزية في حاجة إلى كشف مورفولوجيتها أولاً، ثم التعرف على البنية الاجتماعية لها"<sup>1</sup>، ومع توالي أبحاثه بدأ ينجح إلى المنهج السيميائي الذي يمتلك ناصيته بالإضافة إلى أنّه "أعاد للمناهج السياقية بعض اعتبارها الذي صادرته البنيوية، فمنحت الناقد حرية الحركة المشروطة"<sup>2</sup>

يتبين لنا في نهاية هذا الفصل، أن تلقي المنهج السيميائي عند الباحث عبد الحميد بورايو لم يكن استنساخاً آلياً، بل كان عملية نقدية واعية تهدف إلى التثاقف الخلاق مع المدرسة السيميائية الفرنسية، وذلك من أجل التأسيس لمشروع نقدي تتوافق مع خصوصية التراث الإبداعي العربي،

<sup>1</sup> علي ملاح، حوار مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو، ص 144.

<sup>2</sup> محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص160.

الأمر الذي أشاد به الباحث رشيد بن مالك بصنيع بورايو "إنّ أهم ما تتميز به هذه الدراسة هو أنّ الباحث التزم حدود النص وأدرك مستوياته، واستطاع من خلال اشتغاله على اللغة صناعة خطاب نقدي يوفق فيه بين القيود التي يفرضها الجهاز السيميائي وتطلعات القارئ العربي إلى نص نقدي يُيسر له سبل الاتصال بالمناهج الحديثة"<sup>1</sup>، فقد عمل بورايو على تأصيل المقولات السيميائية نظريا في المدونة العربية وتبسيط أدواتها الإجرائية للقارئ حتى تكون له أفقا معرفيا مفتوحا، وقد دعم هذا المهاد النظري بالممارسة التطبيقية نماذج تطبيقية بيّن فيها قدرة المنهج السيميائي في التعامل مع مختلف السرديات، كما كان لمشروعه نصيب من الأبحاث الترجمة التي ساهمت في نقل المفاهيم السيميائية ومصطلحاتها، حيث تجاوز النقل اللغوي الساذج إلى عملية تفاعلية تأويلية تعيد إنتاج مقولات معرفية خاصة ما يسهم في توطين المنهج عربيا، ومن هذه المفاهيم التي اهتم بها الباحث يبرز الفضاء الروائي بوصفه عنصرا بنيويا وداليا فاعلا في تشكيل المعنى حيث تعامل معه كنسق علاماتي تتقاطع فيه الأبعاد المكانية والاجتماعية والرمزية متجاوزا النظرة الوصفية إلى قراءة سيميائية تكشف عن علاقته بالذات الساردة وبالبنية السردية العامة، كما شكلت الثنائيات القطبية أحد المرتكزات الأساسية في قراءته السيميائية إذ اعتمدها آلية تفسيرية لبيان التواترات الدلالية التي تحكم النص بما يتيح فهما أعمق لبنية المعنى وحركيته داخل الخطاب السردية

<sup>1</sup> رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص35.

وعليه يمكن القول إن تجربة عبد الحميد بورايو في تلقي المنهج السيميائي أسهمت في ترسيخ هذا المنهج داخل النقد العربي المعاصر، من خلال الجمع بين التنظير الرصين والتطبيق الواعي والترجمة المنتجة، بما يجعل مشروعه النقدي إضافة نوعية في مسار ترسيخ الدرس السيميائي، الأمر الذي يفتح آفاقا واسعة لمقاربات نقدية لاحقة.

## الملحق الأول:

### السيرة العلمية للباحث

الملحق الأول للفصل: السيرة العلمية للباحث عبد الحميد بورايو.

عبد الحميد بورايو بن الطاهر الذي ينحدر من ولاية قسنطينة هو أحد أهم المختصين في التراث الشعبي بالجزائر، من مواليد 06 سبتمبر من سنة 1950م بسليانة الواقعة في دولة تونس، فبين سليانة التونسية (المولد) والقاهرة المصرية (الدراسة) و البليدة الجزائرية (الإنجاز) تشكل وعيه الثقافي الذي جعله رائدا للدراسات الشعبية في الجزائر.

- بدأ تجاربه البحثية في مجال الأدب العربي لما كان يحضر شهادة الليسانس في معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر وذلك في سنة 1973م.

- بدأ مسيرته البحثية في مجال الموروث الشعبي سنة 1975 لما انتقل إلى جامعة القاهرة في إطار بعثة طلابية.

- حصل على شهادة الماجستير من جامعة القاهرة عام 1978م تحت إشراف السيدة نبيلة إبراهيم، وهي إحدى أهم رواد البحث في التراث الشعبي العربي.

- التحق بعد ذلك بالتعليم الجامعي كأستاذ مساعد في سنة 1978م، حيث درّس الأدب الشعبي ببعض جامعات الجزائر، منها: تلمسان، الجزائر، تيبازة، وخنشلة.

- بدأ في أواخر سبعينيات القرن الماضي التدريس في قسم اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي تيزي وزو.

- ثم انتقل إلى فرنسا حيث استفاد من الحلقات البحثية التي كان يشرف عليها كلود بريموند المتخصص في السرديات، وكذلك حلقات اللساني والسيميائي جوليان غريماس، ما جعله يسجل موضوع دكتوراه دولة بجامعة السوربون حول الحكايات الشعبية الجزائرية المحكية باللهجات العربية في سنة 1984.
- جرب كتابة القصة القصيرة وكتب عنها مقالات نقدية، وفي سنة 1985 نشرت له مجموعته القصصية بعنوان عيون الجازية.
- للباحث دراسة ميدانية وفق المنهج البنيوي حول القصص الشعبي في منطقة بسكرة نشرت سنة 1986م.
- بسبب الأزمة الاقتصادية في الجزائر عاد إلى أرض الوطن وسجل موضوعا جديدا للدكتوراه يعالج فيه نماذج من حكايات ألف ليلة وليلة من منظور السيميائيات الغريماسية، حيث ناقش رسالته في سنة 1996م بجامعة الجزائر.
- ترأس رابطة السيميائيين الجزائريين التي تأسست بجامعة سطيف في ماي من سنة 1996م.
- حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1996م بجامعة الجزائر
- واصل عمله البحثي ضمن مخبر أطلس للثقافة الشعبية الجزائرية بجامعة الجزائر 2 الذي أسسه بكلية الآداب سنة 2004م،

- رئيس تحرير مجلة سيميائيات الصادرة عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية.

له منشورات ومقالات وكتب وطنية ودولية حول السرديات والتحليل السيميائي للنصوص القصصية التراثية، التراث الشعبي والأنثروبولوجيا، ويهتم حاليا بترجمة عدد من النصوص والمؤلفات في التراث والأنثروبولوجيا الثقافية.

## الملحق الثاني:

### حوار مع الأستاذ بورايو

الملحق الثاني: حوار مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بوراوي ( توقيع اللقاء د/ علي ملاحى).

الحوار تم التصرف فيه - اختيار بعض الأسئلة - وفق ما يخدم البحث.

س3: تبنى الدكتور بوراوي النقد السوسولوجي مرحلة لا بأس بها ثم انتقل إلى منهج مفارق لهذا المنهج وهو الشكلائي بما فيه السيميائية والبنوية، هل هناك مبررات لهذه النقلة النقدية.

ج3: لقد كان وراء عنايتي بالنقد السوسولوجي في بداية اهتماماتي البحثية قناعاتي الإيديولوجية ذات التوجه اليساري، وكان المحيط الذي تكوننا فيه خلال السبعينيات يعرف انتشارا لهذه القناعات لأسباب متعددة يطول شرحها ... يمكن تفسير انتقالنا للشكلائية والبنوية ثم السيميائية بتطور معارفي المنهجية، التي استندت إلى تراكم معرفي شهده القرن العشرين، بفعل الاشتغال على قسم هام من الإنتاج الثقافي والفني البشري المتمثل في المأثورات الشعبية والتي ظلت مهمشة ومستبعدة من طرف الباحث الأكاديمي.

س6: الاهتمام بالتطبيقات السيميائية على الأدب الشعبي السردى خاصة هل هو اهتمام عفوي أم أنه ينطلق من رؤية مشروعة مبنية على استراتيجية معرفية معينة؟

ج6: ... السيميائيات الشكلائية التي اعتمدت تحليلاتها على ميراث الدراسات البنوية في مجالي علم الدلالة والأنثروبولوجيا استندت بصفة أساسية على مفهوم الأنساق في دراسة العلامات والرموز ... يمكن القول إن الممارسة المنهجية السيميائية تتلاءم أكثر مع التمثيل الثقافي للمراحل الحضارية المكتملة، وهي صفة تتجسد في ما هو جمعي وما هو ماضى، وهي الخصائص التي تسم القصص

الشعبي خاصة، أضف إلى ذلك منطقية التحليلات السيميائية تجعلها أقرب إلى الدرس التعليمي الذي نروم توصيله لطلبة الأدب.

س9: المنهج السيميائي عند بورايو مسلمة منهجية يطبقها حاليا وبضياء من خلالها النص الأدبي عموما والنص الشعبي خصوصا، هل يعني ذلك أن السيميائية هي قناعة منهجية لا يبرحها إلى مناهج أخرى؟

ج9: لقد اعتنيت منذ بداية نشاطي الأدبي بالشكلانية والبنوية والسيميائية، وهي جميعا تيارات منهجية تتربط فيما بينها لتكون رؤية للنص تراعي بصفة أساسية طبيعة بناء قيمه الرمزية وتنحو نحو علمنة الدراسة الأدبية وجعلها ممارسة مقعدة ومنطقية، وتولي أهمية كبيرة للبعد اللغوي في الظاهرة الأدبية، ومما حفّزني على مثل هذه العناية تطور الدراسات السردية في هذا المجال خلال النصف الثاني من القرن الماضي ... هذا لم يمنعني من العناية ببعض التيارات المنهجية الأخرى التي حاولت أن أستثمرها مثل الدرس الأنثروبولوجي والتحليل النفسي والتداولية.

س10: ما الذي قدمته الممارسة السيميائية من نتائج وأعمال في الجزائر، بمعنى آخر هل استطاعت الدراسات السيميائية في الجزائر أن تؤسس مشروعا نقديا راسخا؟

ج1: ولجت السيميائيات الدرس الأدبي في نهاية القرن الماضي عن طريق إدراجها في البرامج الدراسية في أقسام اللغة العربية، وظهرت بعض الأعمال مثل دراسات رشيد بن مالك وسعيد بوطاجين وأحمد

يوسف التي كان لها أثر في نشرها والعناية بها، فأقيمت لها ملتقيات في عناية وسطيف وبسكرة والعاصمة ... لقد اكتفينا بنقل مبادئ السيميائيات وحاولنا تقديم بعض التطبيقات غير أن مساعينا تظل ذات أهداف تعريفية وتعليمية بحتة، تنقصها الروح الإبداعية، وتحتاج السيميائيات إلى تمثيل أكثر ومعرفة أوسع بأسسها الفكرية وخلفياتها المعرفية ومختلف تياراتها المطبقة في العالم ...

س 12: السيميائية بوصفها منهجا هل تقف -من النص- عند حدود معينة، وهل تتداخل على نحو من التكامل أو التفاعل مع المناهج الأخرى؟

ج 12: ... تستمد السيميائيات الشكلانية في تحديدها للمعنى على الدلالات البنوية، ولها علاقة وطيدة بالجهود التي بذلت في الدرس الشكلاني للأدب وهو درس تمخضت عنه التطورات الحديثة للدرس اللساني في النصف الأول من القرن العشرين. وقد استندت السيميائيات البورسية على المنطق الرياضي وحاولت رسم خطاطة التدليل عبر تحولات العلاقة مدلول/دال. يجمع بين مختلف التيارات السيميائية العناية بالقيم الرمزية في الثقافة والأدب واللغة.

س 14: أين يتجه البحث/النقد السيميائي حاليا. هل ما زال غريماص يغري بورايو؟

ج 14: ... لأعمال غريماص قيمتها من حيث كونها رائدة لتيار مدرسة باريس الشكلانية، على صعيدي التنظير والتطبيق، ولا زال بريق أعماله مسيطرا على الدراسات السيميائية، غير أن هناك آخرين تجاوزوا منطلقاته وارتادوا ميادين لم يكن من المتيسر ارتيادها من طرف غريماص مثل سيميائ العواطف وسيميائ الصورة ... أما بالنسبة لي يمثل غريماص نموذجا للباحث العلماني الذي كرس حياته

لوضع آليات التحليل السيميائي الشكلاني، ونبه إلى الطبيعة البنينة التي تشغلها السيميائيات في علاقتها بمختلف العلوم الاجتماعية.

س15: كثيرا ما يرتبك النقاد في التعامل مع المصطلحين سيميائية وسيميولوجيا، إلى ما يرجع ذلك؟

ج15: استخدمت الدراسات السيميائية المصطلحين معا، ويميل الباحثون إلى استعمال مصطلح السيميولوجيا للدلالة على تاريخ العلم ومبادئه النظرية وروافده في العلوم الأخرى، أما السيميائيات أو السيمياء فتستعمل للدلالة على الحقول التطبيقية.

س16: طالما فكرتم رفقة عدد من السيميائيين في الجزائر في استحداث رابطة تجمع السيميائيين في مشروع نقدي واحد. هل حصل ذلك، وما هي الخطوط الأساسية المستقبلية لهذا المشروع؟

ج16: المحاولات السابقة لم تصل إلى نتيجة ملموسة، هناك اجتماع في مدينة بنغازي في نهاية شهر جوان (2009) ويحضر الآن لمشروع جمعية مغربية أو عربية للسيميائيين.

س23: السيميائية صارت سيميائيات. هل يضعنا الدكتور عند نقطة / وجهة نظر محددة؟

ج23: لعل السيميائيات الشكلانية أو الغريماصية (مدرسة باريس)، هي التيار الذي تجذرت ممارسته في البلدان المغاربية، ويأتي كل من سعيد بن كراد ورشيد بن مالك على رأس المتخصصين فيه، أما بقية

التيارات فتجد بدورها صدى عند كثير من الأساتذة من أمثال سعيد بوطاجين وأحمد يوسف والطاهر رواينية وأمينة بلعلى وغيرهم، وأقصد هنا سيميائيات بورس وفانتالي وأمبرتو إيكو، ولا شك أن نمو مثل هذه التيارات سوف يغني المعالجات السيميائية.

خاتمة

---

في ختام هذا البحث تجدر الإشارة إلى أنّ التتبع الموضوعي لعملية التلقي للمنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر عملية صعبة، ذلك أنّها تستوجب جهدا كبيرا في الإحاطة بأهم الدراسات السيميائية الجزائرية على مستويات عدّة نظرية وتطبيقية وترجمية، الأمر الذي دفعنا إلى مساءلة أهم المتون النقدية السيميائية لثلاثة من أهم الأعلام الجزائرية في هذا المجال: عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك وعبد الحميد بورايو، وقد أفضت هذه المساءلة إلى نتائج عامة وملاحظات تتقاطع مع ما ذكرناه في نهاية كل فصل، نستعرضها في نقاط على النحو الآتي:

- استطاع الخطاب النقدي الجزائري المعاصر إحداث قطيعة إلى حدّ بعيد مع الممارسات الانطباعية والسياقية، وذلك بفضل الانفتاح على النقد الغربي والسعي إلى محاكاته، وبلورة رؤية نقدية جديدة تستثمر المفاهيم النقدية الغربية دون إقصاء للتراث العربي قصد تأسيس خطاب نقدي جديد.

- يمثل المنهج السيميائي أكثر المناهج حضورا في الدراسات النقدية الجزائرية التي احتفت بأطروحات غريماس في مجال السيميائيات السردية، وهذا الاحتفاء نابع من التقارب بين ضفتي المتوسط والثقاف بين الجانبين الجزائري والفرنسي، إضافة إلى أنّ الباحثين الجزائريين امتلكوا ناصية اللغة الفرنسية، كما نهلوا الأطروحات السيميائية الفرنسية على يد أقطابها.

- رغم هيمنة النموذج السيميائي الغربي على الخطاب النقدي الجزائري إلا أنّ هذا الخطاب له وعي مقبول تجاوز به الباحثون الجزائريون الاستيراد الآلي للنظريات الغربية، وذلك بالتدرج التنظيري عبر بسط المفاهيم السيميائية ونقلها عبر الفعل الترجمي ثم السعي إلى تبيان نجاعة

أدواتها الإجرائية، كل ذلك عبر مسار معرفي محكوم بالتراث العربي الذي يفضي إلى خطاب حقيقي ثري يوفق بين التراث والحداثة، ويسد الفجوة الهائلة بين النقادين الغربي والعربي.

- تبوأ **العنوان** مكانة مهمة في الدراسات السيميائية إذ يعد علامة سيميائية تساهم في إنتاج المعنى، كما أنه مدخل تأويلي يحتزل المسافات قبل الولوج إلى عوالم المتن، الأمر الذي أغرى الباحثين للاشتغال عليه تنظيرا وتطبيقا.

- يُعد الناقد عبد المالك أحد أهم الأعلام النقدية التي لها تصورا شاملا حول كيفية التأسيس لمشروع نقدي حقيقي ينطلق من التراث ويتكى على النظريات النقدية الغربية، فقد ساهم في إثراء الساحة النقدية بدراسات متنوعة خاصة في حقل السيميائيات حيث شملت المستوى التنظيري والتطبيقي حتى عده الباحثون رائدا لهذا المنهج في الجزائر.

- اعتمد الناقد عبد المالك مرتاض في دراسة لعتبة العنوان على المزاوجة بين الطرح النظري والممارسة التطبيقية، مبينا أن زقاق المدق ما هو إلا عبارة صغيرة تعكس عوالم النص المعقدة، ذلك أن هذا الزقاق يمثل مصر بتناقضاتها وما فيها من صراعات، كما يبرز الباحث تعالق المكان مع مكونات الرواية لعل أهمها الشخصيات وأدوارها بالإضافة إلى الألوان التي تعد علامات سيميائية تسهم في فهم زقاق المدق.

- اهتم الباحثون السيميائيون بعنصر الشخصية، ذلك أنه يحتل مكانة بارزة في العمل الروائي ودائم التفاعل مع مكونات هذا العمل، وقد عدها السيميائيون علامة سيميائية تحتاج قارئا واعيا لتأويلها ولا يتم ذلك إلا عبر نسق من العلامات التي تجاورها في المتن.

- يمثل الناقد رشيد بن مالك التلميذ الوفي للمدرسة السيميائية الفرنسية ذلك أنه تكوّن على يد أعلامها المؤسسين أبرزهم ألجيراد غريماس، حتى أصبح اليوم مرجعا هاما في النقد العربي، فقد سعى إلى تجسيد أطروحات غريماس في إطار مشروعه النقدي المتنوع الذي بدأه ببحثه الموسوم بـ: مقدمة في السيميائيات السردية.

- عالج الناقد رشيد بن مالك الشخصيات داخل رواية نوار اللوز لوسيني الاعرج انطلاقا من تأثيرها واستقراء أدوارها داخل الرواية مستمدا رؤيته من أفكار رولان بارت الذي يرى في الشخصية علامة فارغة تستمد قيمتها بالتجاور مع نسق من العلامات، كما عمد إلى تصنيف الشخصيات وفق مقولات فيليب هامون.

- رغم الارتباط الوثيق بين الإنسان والفضاء من حوله، وحضور الفضاء في الرواية إلا أنه - حسب أغلب الباحثين- لم تتبلور حوله نظرية تماثل النظريات التي اهتمت بباقي مكونات الرواية، غير أن الدراسات الحديثة نقلت هذا العنصر من الهامش إلى مركز اهتمامها، حيث يبرز غاستون باشلار ببحثه المعنون بـ: جماليات المكان والذي صاغ من خلاله مفهوما جديدا للفضاء تجاوز به الحدود الجغرافية إلى معانٍ نابغة من الخيال.

- الناقد عبد الحميد بورايو من الأعلام الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية التأسيس لخطاب نقدي عربي، من خلال استحداث مفاهيم وآليات خاصة به انطلاقا من محاكاة النموذج الغربي، دون التنكر للتراث في مشروعه النقدي حيث أفاد هو الآخر من نظريات السيميائيات الفرنسية ثم سعى إلى تجريبها على نصوص تراثية وتبيان مدى نجاعتها متجنبنا الإسقاط الآلي.

- عالج الناقد عبد الحميد بورايو عنصر الفضاء في رواية الجازية والدرأويش انطلاقاً من مفهوم الثنائيات الضدية أو التقاطبات المكانية، وقد وُقِّع بين ثلاث مصطلحات هي الفضاء، المكان والحيز كمقابل لمصطلح *espace*، وقد عمد إلى تحليل الفضاء كبنية رامزة مبيّنة أبعادها النفسية والاجتماعية.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

### المصادر:

عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

عبد الحميد بورايو، منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية المعاصرة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى (دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000.

### المراجع:

إبراهيم صالح، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

إدريس الناقوري، لعبة النسيان (دراسة تحليلية نقدية)، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1995.

أنيس إبراهيم (وآخرون)، المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ت.

باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008.

بسّام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة الأردنية، الأردن، ط1، 2001.

جهاد فضل، حوار مع د. عبد المالك مرتاض ضمن كتاب أسئلة النقد، الدار العربية للكتاب، مصر، د.ت.

حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000.

حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

- حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للعرب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991.
- خالد حسين حسين: في نظرية العنوان، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2007.
- خسارة ممدوح مُجَد، علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2013م.
- رشيد بن مالك: قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000م.
- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، د ط، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000.
- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية (مدخل نظري)، منشورات الزمن، المغرب، د ط، 2001.
- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003.
- سعيد رياض، الشخصية (أنواعها أمراضها وفن التعامل معها)، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، د س.
- سعيد علواش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.
- سعيد يقطين، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997م.
- سيد قطب، النقد الادبي (أصوله ومناهجه)، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003.
- سيزا قاسم، القارئ والنص (العلامة والدلالة)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.
- سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة، د ط، 1980.
- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق مُجَد جاد بك و مُجَد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُجَد البجاوي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.
- شادية شقرون، سيمياء الخطاب الشعري في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن، ط1، 2010.
- عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري (دراسات حول خطاب المروييات الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.
- عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى (دراسات لحكايات من ألف ليلة وليلة وكييلة ودمنة)، دار الغرب، وهران، دط، 2003.

## قائمة المصادر والمراجع

- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات.
- عبد العزيز المقالح، قراءة أولية في نموذج أدب المغرب الكبير، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، دت، ط1.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001م.
- عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 1982.
- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، ط1، 2015.
- عبد القادر نويوة، قراءة التراث السردى العربي، تجربة عبد الفتاح كيليطو، دار الروافد، بيروت، ط1، 2012.
- عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سورية، 2011.
- عبد المالك مرتاض، ألف ليلة وليلة ( تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد )، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم (مسائلات حول نظرية الكتابة)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003م.
- عبد المالك مرتاض، أ-ي ( دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- عبد المالك مرتاض، تحليل التحليل السيميائي للخطاب الشعري (تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- عبد المالك مرتاض، في الأمثال الزراعية (دراسة تشريحية لسبعة وعشرين مثلاً شعبياً جزائرياً)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ( بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1998.
- عبد المالك مرتاض، مفاتيح لغرفة واحدة ( معالجة مجهرية تداولية معرفية)، دار القدس العربي، ماي 2018.

## قائمة المصادر والمراجع

- عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
- عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010م.
- عمر أبو النصر، تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، دار عمر أبو النصر وشركاؤه للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1971.
- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الأملية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014.
- قادة عقاق، مآزق السيميائية ( قراءة نقدية في جهازها المفهومي والإجرائي )، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، ط1، 2009م.
- مُحَمَّد عَزَّام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة (قراءة في نقد النقد)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003 .
- مُحَمَّد عَزَّام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- مُحَمَّد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.
- مُحَمَّد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1972.
- مرشد أحمد، البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
- مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي (دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد المالك مرتاض ومُحَمَّد مفتاح)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
- نادية بوشفرد، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي. دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.
- واسيني الأعرج، نوار اللوز (تغريبة صالح بن عامر الزوفري)، دار الحداثة، بيروت، 1983.

## قائمة المصادر والمراجع

يوسف الوغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابط إبداع الثقافية، الجزائر، 2002.

يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض (بحث في المنهج وإشكالياته)، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر.

يوسف وغليسي، في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية) ، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012.

## قائمة المصادر والمراجع

### المراجع المترجمة:

ج كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003.

روبرت شولز، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1. أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2004.

غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1990.

دانيال تشاندلر، معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا)، تر: شاكر عبد الحميد، منشورات أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002.

غريماص وآخرون، المنهج السيميائي الخلفيات وآليات التطبيق، ترجمة وتقديم: عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014م.

أجيراد غريماص - ج. كورتيس وآخرون، المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، ترجمة وتقديم عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2014.

غريماص وآخرون، النظرية السيميائية السردية مسارها التوليدي الدلالي، ترجمة عبد الحميد بورايو، دار التنوير، الجزائر، د ط، 2013.

أدوين موير، بناء الرواية، تر إبراهيم الصيرفي، م د. عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د ت.

رومان جاكسون، محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة (حسن ناظم، علي حاكم صالح)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 01994

فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، 1990.

الرسائل الجامعة:

- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر (قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد المالك مرتاض، رشيد بن مالك)، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف2، 2018-2019.
- عبد السلام مرسللي، واقع الخطاب السيميائي في النقد المغربي، أطروحة دكتوراه، 2015-2016، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.
- عبد الله توام، دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية (رواية "الآن .. هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجا)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران1، 2016.
- قادة عقاق، السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد المغربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2003-2004.
- محمد دقي، مدرسة باريس بين النظرية والتطبيق في الجزائر (عبد الحميد بورايو أنموذجا)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تيارت، 2020/2021.

المجلات والدوريات والملتقيات:

- أحمد حميدوش، السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، ملتقى إشكالية الأدب في الجزائر، 26-28 أبريل 2005م، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.
- إنسانيات، لقاء مع عبد الحميد بورايو، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 106، سنة 2024.
- ثامر فاضل، مقاربات النقاد المعاصرين، كتابات معاصرة، المجلد 1، العدد2، آذار 1989.
- حسين أوعسري، سيميائية الشخصيات الروائية، مجلة عود الندى، العدد94: 2014/4، المغرب.
- صالح الدين ملفوف، التجربة النقدية السيميائية في الجزائر (معالم وأعلام)، الملتقى الدولي الثامن (السيميائية والنص الأدبي)، بسكرة، أبريل 2013.
- عبد الحميد بورايو، الحكاية الخرافية بين الدرس البنيوي السيميائي والدرس الأنثروبولوجي عند الدارسين الجزائريين، مجلة التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر - بسكرة، عدد03، جويلية2017.

عبد الحميد خطاب، إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي، حوليات جامعة الجزائر، العدد 12.

عبد السلام المسدي، الازدواج والمماثلة في المصطلح النقدي، المجلة العربية للثقافة (نصف سنوية)، تونس، مارس 1993.

عبد العالي بوطيب، إشكالية تأصيل المنهج في النقد الروائي العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد السابع والعشرون، العدد الأول، سبتمبر 1998.

عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران، الجزائر، العدد الثاني، يونيو 1993م

عبد المالك مرتاض، مدخل في قراءة الحداثة، مجلة البيان، رابطة الأدباء، الكويت، العدد 323، 1997م.

علي ملاح، حوار مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بورايو، مجلة التبيين، العدد 33، نوفمبر 2009م.

فؤاد منصور، حوار مع جوليا كريستيفا، مجلة الفكر العربي، ع: 18، 1982، بيروت، ص122.  
قادة عقاق، الأصول العلمية للنظرية السيميائية (مدخل نظري)، مجلة موقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، العدد 456، سوريا، 2009.

قادة عقاق، تلقي المعرفة السيميائية في الخطاب النقدي المغاربي (مستوياتها ورهاناتها ونتائجها التوجه الغربمسي نموذجاً)، الملتقى الدولي السادس (السيميائية والنص الأدبي)، بسكرة، أبريل 2011.

قادة عقاق، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد المالك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة، مجلة نزوى، سلطنة عمان، ع38، أبريل 2004م.

محمد دقي، الخطاب السيميائي عند عبد الحميد بورايو (المرجعيات وآليات التحليل)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد:13، العدد:02، سبتمبر 2021.

**A.J.Greimas .J.Courtes.** dictionnaire raisonné de la sémiotique théorie du langage. Paris.

**Daniel patte,** carré sémiotique et syntaxe narrative, in actes sémiotiques (document3), 23, 1981, institut de la langue française, paris.

**Gerard Genete,** seuil ed seuil, coll poutique, paris, 1987.

**Henri mitteran:**le discours du roman, puf écriture, 2édition, 1980, paris, France.

**Joseph courtes,** analyse sémiotique du discours, hachette, paris, 1991.

**Leo H- Hoek,** La marque du titre, paris, mouton, 1982.

**Todorov tzvetan :** dictionnaire encyclopedique des sciences du langage. paris. ed le seuil. 1972.

## ملحق الملخصات

يحاول بحثنا الموسوم بالمنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر أن يتحسس الاتجاهات السيميائية في الواعية النقدية عند النقاد الجزائريين المعاصرين الذين اتخذوا النظرية السيميائية منهجا لتشريح النصوص الإبداعية ، واستكناه ما فيها من رؤى اجتماعية وثقافية وابستمولوجية.

هذا وينطلق البحث من مهاد نظري يستجمع النظرية السيميائية في المنجز النقدي الغربي ، ومحاولة البحث عن ظلاله في منظومة الوعي النقدي الجزائري المعاصر، ومن ثم البحث عن الإجراءات السيميائية التي كانت تشكل ملمحا نقديا عند عديد السيميائيين الجزائريين، ومدى توظيفهم للإمكانات النظرية والأدوات الإجرائية وهم يفاتشون النصوص الإبداعية بالمشروط السيميائي، وليس غريبا أن نجد في الخطاب النقدي الجزائري أسماء لامعة حاولت أن تزاخم أعلاما سيميائية عربية وغربية، وشقت لها طريقا خاصا بها نذكر منها: عبد المالك مرتاض في سيميائياته التفكيكية ، وعبد الحميد بورايو ورشيد بن مالك في سيميائياتهما السردية، وغيرهم كثير ممن كانت لهم صولات وجولات نقدية سيميائية، مما يسمح لنا بأن نصف هذه الممارسة النقدية بالاتجاهات السيميائية في المنظور النقدي الجزائري.

**Abstract :**

Our study, entitled *The Semiotic Approach in Contemporary Algerian Critical Discourse*, seeks to trace the semiotic orientations of conscious criticism among contemporary Algerian critics who have adopted semiotic theory as a methodological framework for analyzing creative texts and for extracting the significations embedded in their social, cultural, and epistemological visions.

The research begins at the theoretical level by outlining semiotic theory as developed in Western critical works, and by attempting to identify its influences within contemporary Algerian critically conscious discourse. It then examines the semiotic methods of analysis that have come to constitute a distinctive critical feature in the work of many Algerian semioticians, as well as the extent to which they have employed theoretical concepts and analytical tools while dissecting creative texts with a semiotic scalpel. It is therefore not surprising to find prominent names in Algerian critical discourse who have sought to rival leading Arab and Western semioticians and have carved out their own distinctive paths. Among them are Abd-El-Malek Mortadh, known for his deconstructive semiotic approach, and Abd-El-Hamid Bourayou and Rachid Ben Malek in their narrative semiotics, along with many others who have engaged in notable semiotic critical practices. This allows us to describe this body of criticism as representing semiotic orientations within the Algerian critical perspective.

## **Résumé:**

Notre recherche taguée par la méthode sémiotique dans le discours critique algérien moderne essaie de mesurer les tendances sémiotiques dans la conscience critique chez les critiques algériens modernes qui ont pris la théorie sémiotique comme une anatomie des textes créatifs ,et nous l'avons gardée des visions sociales culturelles et étymologiques.

Et là la recherche se lance à partir d'un paillis théorique se regroupe la théorie sémiotique dans le réalisé critique occidental ,et la tentative de rechercher ses ombres dans le système conscient critique algérien moderne,et ainsi chercher les procédures sémiotiques qui ont formés un repère critique chez beaucoup de sémioticiens algériens, et la mesure de leur emploi des potentiels théoriques et les moyens opérationnels en examinant les textes créatifs par le scalpel sémiotique,pas étrange de trouver dans le discours critique algérien des noms brillants encombrant des célèbres arabes et occidentaux et en traversant un chemin particulier d'eux:Abdelmalek Mortadhe dans sa sémiotique déconstructionniste ,Abdelhamid Bourayou et Rachid ben Malek et leur sémiotique narrative,et beaucoup d'autres qui avaient des attaques et des raids dans la critique sémiotique ,ce qui nous permet à décrire cette pratique critique de"Les tendances sémiotiques dans la perspective critique algérienne."

# الفهرس

الصفحة	العنوان
-	شكر وتقدير
-	إهداء
أ-خ	مقدمة
07	<b>الفصل الأول: العنوان في النقد السيميائي الجزائري.</b>
08	توطئة
09	أولاً: مفهوم العنوان
09	العنوان في التراث العربي
11	العنوان في الدراسات النقدية
13	ثانياً: الخطاب السيميائي عند عبد المالك مرتاض
15	أصول النقد السيميائي عند مرتاض
24	سؤال المنهج عند مرتاض
29	ثالثاً: العنوان وتمثالاته في الممارسة التطبيقية عند مرتاض
47	ملحق: السيرة العلمية للباحث
50	<b>الفصل الثاني: الشخصية في النقد السيميائي الجزائري.</b>
52	توطئة
53	أولاً: مفهوم الشخصية في النقد الغربي.
59	ثانياً: مفهوم الشخصية في النقد الجزائري المعاصر.
66	ثالثاً: قراءة في المنجز السيميائي للناقد رشيد بن مالك.
84	رابعاً: الممارسة التطبيقية في الخطاب السيميائي عند رشيد بن مالك.
105	ملحق: السيرة العلمية للباحث
109	<b>الفصل الثالث: حضور الفضاء في الخطاب السيميائي الجزائري.</b>
110	توطئة
112	أولاً: الفضاء في الحقل النقدي الغربي.
121	ثانياً: الفضاء في النقد العربي المعاصر.
129	ثالثاً: التجربة النقدية عند عبد الحميد بورايو

## الفصل الثالث: حضور الفضاء في الخطاب السيميائي الجزائري

149	رابعا: الممارسة التطبيقية في الخطاب السيميائي عند بورايو.
166	الملحق الأول للفصل: السيرة العلمية للباحث
167	الملحق الثاني للفصل: حوار علمي مع الأستاذ بورايو .
176	خاتمة
181	قائمة المصادر والمراجع
191	ملحق الملخصات
197-195	الفهرس